فلسفة التكوين الفكري

فلسفة التكوين الفكري

الجزء الرابع

الدكتور المهندس نبيل طعمة

١٤٢٩ - ٢٠٠٨

الناشر دار الشرق للطباعة والنشر
الدكتور المهندس نبيل طعمة
الطبعة الأولى
عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة
تاريخ النشر ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

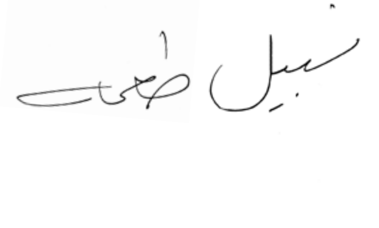
ORIENT
Printing & Publishing
دار الشرق للطباعة والنشر

تقديم

طبعاً التقديم لكتاب أنجزت كلماته من بحر ما أملك علّي أملك منها طرف بحر أغوص فيه، وغايتي إحضار ما رأته العين وطالته اليد قلماً أخط به حروفاً على شاطئ البحر، كي أشكل الرسالة المعرفية النابعة من الذات الحاملة للجمال ضمن تحليل ملؤه ضمير الحياة صاحب الحكمة التي يتجلى فيها الحياء، منطلقاً من البداية أمضي لمعرفة النهاية، ووضع الذكاء ضمن التخصص الواقعي الذي لا يعرف المستحيل يحوله إلى ممكن اللطيفة ذات اللباقة واللياقة، فنظهر مقنعين ومقتنعين بأن التربية تطور التخيير وتراقب التسيير، وتعطي للرأي المتحول من الخيال والحلم والسكون والحركة حضوراً يطلب السلم، ويرفض الحرب والعنف ويراقب الطبع والتطبّع والتطبيع، مدركاً أن جنة الإنسان عقله وناره شهوته، التي إن خرج منها طال الباب العالي، الذي يتطلع إليه البسطاء يسيرون إليه دون تهديد، يرسمون وينحتون أيامهم مطالبين فَهْم العلم، وأن الدين جزاء وأمانة وأن الفقر المادي ليس عيباً وإنما الفكر العقلي هو العيب الكبير الذي يجب أن نتخلص منه .

من هذا أصل أن الشيطان عدو ما ذكرت، يحول الإنسان إن تمكن منه إلى إرهابي تحت صور الخديعة والمكر التي سرعان ما

تتكشــف أباطيله، لنكتشف أن القراءة تولد حب الكلمة الحاملة للحب، نؤولها نستمتع بها فنعلم قيمة الحياة وقوتها، وعليه تكون الكلمة أســاس وجود مســتندة إلى « في البدء كانت الكلمة»، ومن ثم اقرأ الكلمة التي أسست لهذا الوجود الروحي الكوني، أدعوكم معي لقراءة ما خُطّ على سـطور صفحــات هذا الكتاب الذي بين أيدينا ومتنه، والتأمل والتفكر حولنا، أي في محيطنا الغني الذي به كل ما نريد ومنه نطلب الزيادة ونســتزيد، وعليه حينما قلت إني ألتقيكم في الجزء الرابع الذي تحقق بين أيديكم، أعدكم بأن نتواصل وأزيد الوصــل منطلقاً إلى الجزء الخامس منكم وإليكم، علّي أكون محققاً لنوع فيه خلاصة الخلاص ضمن فلسفة ترتيب الفكر حيث أدعو بها إلى إعادة تكوينه، مهاجراً معكم من الجنوب البشــري الإباحي والاســتباحي (الشــهوة والجنــس) إلى عالم الشمال عالم الفكر، مروراً من القلب إلى العقل المكون لنا، والذي بــه التكوين ولكم ومعكم ومن خلالكم الســلام المنشــود، والذي ننشد تحقيقه للإنسانية جمعاء .





الإهداء

إلى إيمان
التي منحتني الإيمان
بالموجودات وعملت معي
لزيادة التأمل بها من أجل
استخلاص ما يفيد الحياة
وتقديمه إلى الأرض والسماء
والإنسان
إليك الوعد الدائم ....بالوفاء

د. نبيل طعمة

الرسالة

غايتها تحقيق إعلام أو استفسار أو وصل واتصال بين طرفين، تمرر بينهما على شكل مكتوب بخط اليد أو مطبوع من آلة كاتبة أو حاسوب أو على جهاز خلوي لاسلكي، ترسل من طرف إلى طرف في ظرف بريدي أو عبر الأجهزة الإلكترونية يستلمها الآخر المتلهف لمعرفة ما بها، وهي إما أن تكون شخصية أو قانونية أو تخص العمل وتطوراته وظروفه، رافقت عملية الوجود الكوني فكانت أولاً إلهية ومن ثم إيحائية بالتأمل والتفكير وبعدها إنبائية (رسائل الأنبياء) وإخبارية وإعلامية، استخدمت منذ أن عرف الإنسان الكتابة وحملها الطير الزاجل ونقلها بين الأمم والجيوش، وكثيراً ما ركبت السفن وانتقلت عبر القارات بالطائرات والقاطرات والآن عبر الوسائط الفضائية .

إن أهم رسالة عرفها الكون هي الإنسان الذي به ومنه ومعه الرسالة الإنسانية، وهو بحد ذاته المرسِل والمرسَل إليه، وبما أنها تنتقل من بين يديه بكونه المرسِل وإلى المرسل إليه، وهي تحمل التعابير عن ذات الإنسان نفسه والتي يجب أن يقرأها ذاته بذاته أولاً ويعلم أن ما كتب بها كي يستطيع أن يسير على هذه الأرض، فما هو الهدف الأول من وجوده في هذه الحياة وما معنى سعيه وراء عيشه الذي يجب أن يحافظ عليه، وما هي واجباته التي عليه أن ينفذها وما هي قيمة

هذه الرسالة التي تريدها الحياة منه؟ وعليه يدرك: إن فهم ما بها أن يسطر الرسائل عبر مسيرته وإنجازاته، يقرؤها الآخرون فيتعلمون أهمية الرسالة وأسباب وجودها والغاية من وجودها وأياً كان ما بها وخُطّ على سطورها من شوق واستعطاف ووشاية ومعلومات دقيقة أو معقدة أو مبسطة، وأياً كان شكلها خاصة أو عامة أهلية أو أدبية أو رسمية أو إدارية؛ فهي رسالة إنباء تريح أحياناً وتُعلم في مرات وتزعج من أنبائها قارئها، لها أهميتها ووجودها ولا يمكن الاستغناء عنها مع كل ما وصلنا إليه من علم ووسائط علمية، وما يهمنا من كل ما مررنا به هو الإنسان، هذه الرسالة السماوية التي حملتها الأرض واعتبرته قلمها يخط عليها بمسيرته فعله من فكره تقرؤه السماء وتقول : لقد حمل هذا الشخص معتقدات وقيم وأولويات وقواعد وتأخذ قرارات مثلته، فعرف ما فعل من خلال ما فهم من تأمله بي وبالموجودات المحيطة به، وقد تعرفت عليه وقرأته بكوني أنا الأعلى فوقه أراه كيفما خط واختط سبله، فبدا لي جملة مختصرة عرفت بها مقصده وغايته من حياته ، فإذا كان الأعلى يقرؤنا فلمَ لا نقرأ بعضنا بما أننا رسائل متنقلة أفعالنا كلماتها؟ فالحياة التي نحياها وهي تمر بين نقطتين: البداية والنهاية صفحة بيضاء نكتب بها عندما نلج الحياة، تحية وبعد، نبدأ المسيرة والحركة من الطفولة إلى الشباب مروراً بالرجولة والأنوثة والكهولة والوداع الذي لا

نوقعه بل يتم من قبل المتابعين بعدنا، فهم الذين يحددون على رسالتنا تاريخ النهاية كما هم الذين حددوا تاريخ البداية، نحن فقط نكتب على سطورها دون أن يكون لنا دور في كتابة البداية والنهاية، فماذا يا ترى نكتب وما هو المقرر الذي يجب أن ننجزه على سطور صفحتنا كي يقرأه الأعلى المحيط والكثرة المرافقة لنا، وماذا سيستفاد من رسالتنا بعد انتقالنا، هل ستهمل وتلقى في الحاويات أم تذروها الرياح أم ستبقى رسالة خالدة يتعلم من قراءتها المحيطون بنا والقادمون بعدنا؟ وللعلم إن لكل رسالة حدوداً وحجماً ووزناً وأهمية تكون ضمن نطاق خدمة الرسائل البريدية، وطبعاً لها صفات منها الدقة وسهولة التعبير والتقيد بالنظام المعرفي للحياة ولغة التعامل مع الأفراد والمحيط واختيار الألفاظ والإيجاز عند الطلبات والابتعاد عن المبالغة والدخول مباشرة بعد امتلاك الاختصاص في مواضيع الحياة، وإطارها العام يجب أن يكون مفهوماً وواضحاً وتواريخه مرتبطة بالمسافة المسموح قطعها، كما أن على كاتبها أن يتحلى بالسماحة والطيبة وحسن السلام وموضوعه الحياتي مباشر دون مراوغة ولا كذب ولا نفاق، وغايته إفادة شخصه ومحيطه وأرضه وسمائه، وتوقيعه في نهايتها بأن يؤدي الأمانات التي قبل أن يستلمها من رسالته الأولى وأن يعيدها في رسالته النهائية التي لم يستطع بعدها أن يكررها، هي إذاً هكذا حياتنا رسالة نستلمها نقرأ

ما بها ونعمل من توجيهها ونسلمها بعد أن نكتب الجواب عليها آملين أن تكون رسالة حياة غنية محبة وواقعية.. والسلام .

المعرفة

مكونة للشخصية الإنسانية، وبها تكمن العلاقات الاجتماعية حيث تمنح للقاءات سمة التواصل قبل الخوض في التخصصات الخاضعة للأسس والقواعد العلمية، لذلك كانت ومازالت وستبقى مكوناً رئيساً من مكونات التكوين الفكري وفلسفة حضوره الذي يتعزز ويظهر لحظة حصول اللقاء أو عمليات التطوير والتقدم والحوار، وحيث تظهر علاقة التجانس وتقبل الآخر بالقياس والاحترام وبما أنها طبيعة إنسانية تبدأ معه منذ الصغر وتكون على شكل فحص الأشياء، ومثالنا فيه الاختيار معرفة التمييز بين الجمر والتمر ومن ثم فهم ماهيتها، وغالباً ما تتكون أولاً من حب الفضول أو فائض الاستطلاع على الأشكال أو المعارف غير المنظورة ومعها، ونتاج ذلك ولد التمهيد لتحديد رؤية العالم والكون والوجود وفهم آلية المجتمعات والتمايز بينها ورسم العلاقات ، إن المعرفة مفهوم شامل ينضوي تحت لوائها جملة العلوم والمفاهيم، وبالاتفاق نقول: إن المعرفة هي فهم شيء من كل شيء، والعلم هو التخصص بشيء تختاره لتحدث به الإبداع، إنما

المهـــم فيها أي المعرفة أنها تعتمــد في المطلق على العلم فإن تخصصت بالعلم وألمت بباقي العلوم حققت نجاحات باهرة، وهنا يكمن الفرق بـــين العـــالم والعـــارف أي بين الشـــمولي والتخصصي، وهنـــا تتحدد الاعتبارية حيث تعطي حاملها شخصية اعتبارية ناجحة اجتماعياً بكونها شخصية تقبل التشاركية وتبتعد عن الأنا .

السـؤال الذي يفرض ذاته هل المعرفة هي العلم المطلق أم أنها أحد معانـــي العلم أم هي نظرية فقط دائمة الحضـــور أم نتيجة لعمليات آتيـــة من كل أشـــكال العلوم والحياة تشـــكل لنا المعرفـــة دون جهد أو تعـــب، وأين ينبغي علينا التأكيد ومتى يكـــون النفي ؟ أنا أعتقد أنه يكفينا اسمها لنعرف أنها ليســـت تخصصية وأنه يمكن أن نطلق عليها نظرية أو نتيجة أو اختياراً مابين النظرية والنتيجة، ويمكن أن تكون تجريبية تســـتخدم الحواس السبع، أي أنها قد تقبل ولا تقبل في آن التطبيـــق، ولذلك تبقى في حيز الامتلاك النظري إلى أن تتحول إلى عملي بكون الصورة الأولية لها لا تدخل إلى أعماقها العملية، وعليه يمكن أن نقـــول إنها نظرية معرفية فإذا تحولت إلى التطبيق امتلكت العلمية التخصصية وأصبحت علماً يســـجل ضمن قائمة العلوم ،كما ويمكـــن أيضاً أن نعطيها صفة أمِّ العلـــوم فتكون بها علم المعرفة الذي يبدأ فطرياً وينتهي علمياً .

وإن فهم المعرفة التي تبدأ أولاً من المحيط وعلاقتها بالوعي والنمو

والسلوك تكون تحصيل حاصل عندما يتجه ويترافق التطور الإنساني بالتخصص العلمي تكون هنا اجتهاداً يضاف على التخصص .

بالتأكيد هي ضرورة استمرارية الحياة يتجه إليها الإنسان بكونه لا يستطيع أن يبدأ أي فعل معرفة آلية الدخول عليه واستيعاب طرق التعامل معه أولاً، وثانياً لا يمكن أن تدخل إلى المجهول والتعامل معه بدون معرفة وإذا فعلت كنت جاهلاً وابتعدت عن الصواب والحكمة والفهم المشكلين لمحاور المعرفة، فمن ذلك نعلم أن أول ما ينبغي على الإنسان أثناء توجهه لأي فعل أو لقاء ضرورة امتلاك المعرفة عنه .

إن ضرورة الحث على تطوير حب الاطلاع والاكتشاف والاستكشاف يؤدي إلى تكوين المعرفة؛ التي تنشئ الحب لشيء الموجود ضمن دائرتها كي يحدث التخصص ويظهر العلم التخصصي الذي يوصل إلى الإبداع وينتج التطور القادم أولاً وأخيراً من فهم آليات المعرفة واستيعابها .

وبدخولنا إلى عالم المعرفة نعلم أنها مرتبطة بالإحساس والشعور والإدراك الذي تحدثنا عنه في سياق ما أوردنا، وذلك لأنها تدرك مالا يدرك في اللاوعي وأحياناً كثيرة تنتجه أو تعيد إنتاجه أثناء تطور الوعي لتقارب الواقع الذي يفرد أجنحته على الكل ولا ينحصر في جزء، فما نقوله عن الأرض والسماء والبحار والإله

والمجرات بكواكبها هو شـعور وإحسـاس وإدراك يعيش وعياً في اللا إدراك، أي نعـرف دون أن ندرك ولكن العلم هو الذي يعمق المعرفة، ومهمـا عرفنا لن ندرك الأطراف أو المسـك بهـا، ولكن عند الغوص والتحليق والتأمل نصل جزءاً مما لا يدرك فتقول أعرف وأعلم وهنا يتغلف العلم بالمعرفة والعكس صحيح .

إذاً، وبنـاء عليه نـرى أن المعرفة لباس العلم وشـخصيته الجذابة التي تحدث له البريق لتختصر المسافات وتحدث سرعة في الإنجاز، فكانت بصورتها هذه ضرورة حياتية نحتاجها في مجمل حركة الأزمان الماضـي والحاضر لننتقل إلى المسـتقبل ، المعرفة حاجة فكرية تعمل على تطوير الإنسان .

الذات

أجمل وأقوى وأغنى كلمة تعيش في مكونات الجسد الإنساني، رفيق الموجودات والمفترض أن يكون مسؤولاً عن رعايتها بكونه راعياً، إنها الكلمة الكبرى التي نتبادلها ونبحث عنها ضمن المحيط الكوني العظيم ولا ندركها فنقول: إن هناك ذاتاً إنسانية والذات العلية، وبما أن محورنا الرئيس هو الذات الإنسانية نقف عندها وغايتنا فهم ماهيتها وهل هي الجوهر الإنساني أم هي الضمير أم العقل العملي في

الحياة الإنسانية أم هي كل ذلك، ومسؤولة بالتالي عن كل تصرفاتنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا وكيف بنا نحاسبها وهي المختلفة عن النفس فهل النفس هي التي تخطئ بكونها تراودنا عن أنفسنا لتأتي الذات فتحاسبها أم تأخذ شكلها حيث يقوم العقل المقارن بحسابها أم أن النبض الفائض الذي يجسد الخوف والخشية معها تظهر به فننتبه إلى مكامن الخطأ والصواب؟، بين كل هذا نصل لنقول: ماذا تعني لنا الذات هل يمكن أن ندركها أو أن نفحصها أو نرمزها وهل هي مبنية من نظام الخير، وإذا كانت كذلك فلماذا نرتكب الأخطاء وهل لها نظام وتقبل التنظيم وهل هي ضميرنا المتكلم أو مجموعة الضمير الغائب الحي هل يعني أن أراجع عملي اليومي الذي أقوم به وقبل أن أنهيه أنا أخلد إلى ذاتي أسألها وأروي لها في آن أنني عملت أشياء أراقبها وأنا أعيدها عليها في استعراض استبصاري، فأرى أين أخطأت وأين أصبت وأين قصرت وأين أطلت وهل كنت جيداً أثناء مسيرة يومي أم سلبياً أم سيئاً، ومعه يمكن أن أستعيد المسافة العمرية التي قطعتها وكم المطبات التي تعرضت لها ووقعت فيها وبحق من أخطأت ومع من أجدت وأين تعذب ضميري ومتى خفق قلبي خوفاً ورعباً وأين أخفيت ما لاأريد أن يعرفه أحد إنساني غيري، وهل توقفت حينها عند الإله والضمير اللذين يشعراني وأنا في لحظة الغباء والعماء بأنهما يرياني فأحدث ذاتي وأتخيل أني أستطيع خداعهما ومن هذا

هل أصلحت ما أوقعت ذاتي ونفسي فيه، وهل حسابي كان لنفسي الأمارة بالسوء والخطيئة والتعدي وخلقت بينهما صراع التضاد الذي يجب أن ينتهي بالشكل الصحيح دائماً كي أكمل المسير، وهل أستطيع أن أطلق على هذه الحوارية «الحساب الذاتي» وهل أكون بهذا أحاسب ذاتي أم نفسي أم ضميري ، هل أستطيع أن أكون الرقيب على ما أفعل حيث أحتل دور المحكوم والحَكم والحاكم وأعني بهذا هل لك أن تقف مع ذاتك كي تراجعها وتستعرضها كشريط لتعرف ماذا فعلت وأين أنت وماذا تريد منها؟.

أيضاً نستمر في إنشاء الأسئلة حيث تقودنا في حواريتنا التي نبحث بها وعن ماهيتها كي نقتنع بأنها فلسفة قدمت إلى العقل الإنساني من جسد الكون الحي، حيث كان الإنسان جزءاً من هذا الجسد الكبير وإبداعاً من إبداعه ليعود فيستند عليه، حيث من خلاله نشعر بأهمية وجوده ونمتلك بها ثنائية الطيبة والقسوة والخير والشر والإيمان والكفر، و بها كانت انطلاقته لتقرير مصيره فهل هي الصورة العميقة، أي تكمن في الخفاء لتكون جلية على الظاهر وتتطور بالإدراك حيث تقبل تراكم الخبرات التي تمنحه الغنى دون الإساءة إليها أي تقبل التطور أي من الجهل إلى العلم ، هل هي مفهوم لا مادي وحقيقة الفعل المادي وعليه يكون بالإمكان مساءلتها وحسابها وتهذيبها ومعاقبتها ومكافأتها وهل نعتبر أن مفهوم الذات هو المسؤول في العقل والقلب والحركة

والحوار والفعل فيكون أهم من الذات الحقيقية، أم كل ذلك ينضوي تحت تعريف الذات صاحبة التكون المعرفي المنظم والمهيأ لامتلاك كل ما يدرك ومحاولة فهم ما لا يدرك وعليه تكون الحاضنة اللامادية لكل ما يملكه الإنسان حيث يفنى مظهرها ولا يفنى جوهرها.

نستخلص من سياق ما أوردناه تعريفاً للذات قابلاً دائماً للإضافة والاستفاضة، بأنها جوهر الإنسان كما الذات العلية جوهر الكون، وبذلك تكون تكويناً لا مادياً يعمل على تنظيم المعرفة بكونه منظماً وناظماً ومراقباً ورقيباً لكامل المدركات والتصورات والسلوكيات المتعلقة بالجوهر الإنساني، يعمل ويعيش عليه الإنسان ويدخل عليه من نفسه المتواصلة مع الحياة بغاية فهم ذاتها لتعود عليه فهماً تجريبياً تعلمياً لذاته، فيتكون لديه مفهوم الذات بخاصيته التي تتطور من اكتساب وتوارد الأفكار والتأمل بين الذاتَين العلية والإنسانية والحذف والإضافة ويرسم بها ومعها ولها التنسيق لمجريات أموره وتحديداً لأبعاده ورؤية لمسيرته .

الجمال

لا يظهر إلا إذا وجد أمامه ضد، والضد بدأ مع بدء الوجود ليعيش مع المقابل وفي كل مكان وزمان وشكله الظهور أمام المفرد الحسن

والمجمـــوع الإيجابي،الذي ينعكس على ذات المفرد أومجموع الجماعة الإيجابي فتصر على فعل الحسن ليظهر الجمال أمام كل ذلك الضد ، وكثيراً مايحمل شكل القبح المقابل لها حيث يتم اكتشافه والاعتراف مــن الجمع على أنه ضد به ،وبما أنـــه معرض حديثنا (أي الجمال) فنقول فيه : إنه كل الذي تستسيغه النفس الطبيعية وتقبله الروح الخلاقة القابلة للتعاون ويتوافق معه الآخر يكون جميلاً حيث يظهر جماله في عينيك وعيون الآخرين، أي يجمع عليه الجمع فلا يكتفي برأيك فقط، وإذا كان لنا تعريفه بيننا نحن البشـــر فيجب علينا أن نراه قادماً من جَمُلَ وتَجَمَّلَ فغدا جميلاً أي أنه التهذيب وحسن الخلق ورعاية الموجــودات والاهتمام بها، ومنه يكـــون الجميل الذي يمتلك خصائص تحريك الحواس معتمدة على حاســـة البصر التي تتفاعل مع الأشـــياءِ المادية والحياة الإنسانية فتعمل على تناسقها والابتعاد عن إيذائها وتدفع بها للتعامل الصادق الذي ينبع من أســـباب وجوهر وجود الإنسان المخلوق تحت صفة الجمال الإلهي بكونه جميلاً يحب الجمـــال، أي يحـــب الصفات الخيرة التي منحها الإنســـان وأســـكنها تكوينه وأرادها فعلاً يفيض به بكون الروح تتمتع بالجمال ليكون هو فيض الروح المانحة للحياة .

الجمـــال مظهـــر وجوهر خلقي وكســـبي فطري وتعلمي ســـطحي وعميق فعل وحركة وســـكون وحشـــي وأليف هادئ وصاخب طبيعي

وصناعي موجود في كل شيء ، الإنسان وحده يظهره أو يخفيه يبنيه أو يفنيه يضيف إليه أو يحطمه متجاوزاً إياه إلى عالم الشر الذي لا جمال فيه .

الإنسان وحده بإنسانيته يرى الجمال ويعمل على إظهاره وتحقيق حضوره، فهو يراه ويتابعه حتى بين الأشياء القبيحة بكونه باحثاً عنه وغايته الاستزادة منه، وبكونه جزءاً مهماً من فلسفة تكوينه فلا يراه شعوراً وبهجة فقط بل فكراً مهماً يجب أن يعيش في جملة التكوين الإنساني، وبه يعمل على إيضاحه وتعريفه والإرشاد إليه وجعله منارة إنسانية يعززها بفلسفته، وغايته وصول البشرية إليه ليتحقق أسباب الوجود الذي هو سببه .

ومنه ترى الفلسفةُ الجمالَ على أنه انسجام وتكامل إنساني إنساني أولاً، وثانياً إنساني مع الطبيعة وموجوداتها، وعند الوصول من خلال هذا الإيضاح للجمال يتطور الشعور ويصبح درباً من دروب الوصول للحقيقة التي تتجلى في مظهر المادة الذي يأخذك إلى جوهرها وصورة الروح المتجسد في جسدها .

الجمال ليس فناً بل روح الفنون المخزونة في العمق الإنساني تمارسه وتراه الأحاسيس والمشاعر المرتبطة بين العقل والقلب اللذين يعيش بهما وبينهما الحب، فيغدو الإنسان به جميلاً يحب الجمال ويبحث عنه ليجده في المظهر الحسن دون ابتذال والبسمة الطبيعية دون

تكلف والنفس الذواقة والروح المرحة دون تصنع، إنه في المشهد الذي تتكامل معه العين ولا يجهدها واللمسة المانحة للأمان والنظرة الممتلئة بالحب لا بالمكائد، هو النظام والحديث الحامل للمعاني والفوائد، إنه احترام مشاعر الإنسان أياً كانت ظروفه والحيوان من خلال الرفق فيه والنبات والجماد بتهذيب ما هم عليه من فطرة وفوضى، هو اللفظ المهذب الذي تمثله الكلمة الطيبة والأدب العاقل إنه فعل الإنسان أمام الإنسان وبينه وبين الإله الذي أعطاه صفة من صفاته فيكون بها جميلاً مسؤولاً عن باقي الصفات يعود عليه قائلاً من خلال تبادل الحب: إن الله جميل يحب الجمال.

وبما أن الروح تعطي الحياة والحياة جميلة فهي حقيقة الحياة التي تتجلى فيها فنونها التي تعود على الإنسان بالإحساس ليفعّلها ويضيف عليها، وبما أن كل إنسان فنان في حركته وفعله وأقواله نقول: إن الفنان الحق هو الذي يبحث حتى في القبح عن الجمال ويجده مطلقاً له حق الوجود فيكون به فناناً حقاً، وحقيقة يكون الجميل إنساناً بروحه وفعله لا بشكله .

التحليل

نجريه وغايتنا منه الوصول إلى النتائج التي نعرف من خلالها أين

نحن ومـاذا نريد وعلى أي درجة نقف وماهيـة المواقف المحيطة بنا ومن أين ينبغي علينا أن ننطلق وإلى أين نريد أن نصل؟ وبه نكتشف قدراتنا على المتابعة أو التوقف النهائي أو مسـاحة الانتظار، وعليه تتوقف نظم حياتنا المنطقية إن كنا واقعيين ومتقبلين للنتائج لإنجاز المسـائل أو عدم مقدرتنا على فعلها أو اقتناعنا بضرورة الاسـتعانة بالآخرين وطلب المساعدة كي نصل إلى ما نريد .

والتعمـق الصريـح والواضح في نقل ما نملكه مـن معلومات ووضعها ضمـن عملية التحليل وقبل فوات الأوان، أي ضمن زمن الحاجة إليها يعطينا الحقائق التي نشاهد من خلالها الواقع بكل ما يحمله ويكون شـكله نتائـج مفرحة أو مؤلمة سـالبة أو موجبة، فـإذا حدث التقبل والقبـول كان لنـا قيمة الحقيقـة فننطلق إلى الأمـام بثقة المدرك المالك لأمره، فإذا كانت عملية التحليل غايتها البحث في الاحتمالات الممكنة وغير الممكنه واكتشاف المسارات من أجل التفاعل معها قبولاً أو رفضاً، كانت لنا الأحكام التي بها ومن خلالها نرى الظاهر والمخفي، وعليهـا نقرر الواقع من خلال ربط الماضي بالحاضر والمظهر بالجوهر والداخل الخفي بالظاهر الجلي .

كما أن بيان أجزاء الشيء ووظيفة كل جزء فيه والعمل على استنباط واقع وحركـة الأجزاء وفصلها عن بعضها وإعـادة ربطها ببعضها من خلال فلسـفة تكوين الكل يعني للمفرد فعلاً يؤسس لحركة المجموع

الذي ينطلق مشكلاً الصورة الكاملة القابلة لإعادة التحليل .

وإذا تفكرنا وقلنا عن التحليل بأنه طرائق تكتيكية تعتمد دراسة الجملة الإنسانية المؤسسة للمجموعات الاجتماعية المبنية ضمن الحالات النفسية والشعورية واللاشعورية والمتضمنة للفكر الإنساني الذي أنجب السياسة والثقافة والاقتصاد والاجتماع، وبه كانت خلاصات العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية والأدبية والتي تأسست من مساحة الجغرافية المسجل عليها حركة التاريخ المنجبة لبنية النظريات المتحولة إلى علاقات ظهرت فيها كامل العمليات التحليلية وأوجدت النتائج التي نعيش من خلالها وعليها، واعتماد عملية التحليل على الاختصارات وتنظيم الطلبات وفهم المعلومات القادمة بشكل منطقي، تؤدي إلى إفراز غير المجدي عن المجدي، وإظهار عناصر الطلب لتصل نتائج التحليل بسرعة وتملك بريق الإجابة مهما كان نوعها ودرجاتها. وعليه نؤسس فنقول: إن التحليل أساس الانطلاق إلى المستقبل وبدونه لا تكون العملية العلمية والتي تشكل الوسيلة الناقلة إلى الأمام واضحة، من هنا تظهر ضرورة استيعاب عمليات التحليل للواقع بالاستناد إلى الماضي الذي يجب أن ينسجم ويترابط، حيث يشكل الماضي الأفكار العامة والبناء العام الكثيف والحاضر الأفكار الخاصة، فيتم فرز نتاج التحليل واستنباط الأفكار الخاصة من الماضي ودمجها بفكر وفعل الحاضر لتتكون نتائج

هي خلاصات التحليل، وفي ذات الوقت تكون الناقل الحقيقي للوصول إلى المستقبل ،فالتحليل الواعي والمتأني ينتبه إلى الدلالات المركزية والمؤشرات المنطقية مبعدة الهوامش الفارغة مؤكدة على جوهر الوصول إلى النتيجة .

التحليل أساس تطوير أي عملية مادية أو معنوية، مسؤول عنه الفكر الواعي وتخصصاته وفي كل المجالات، حتى أن العودة لتحليل الفكر في حد ذاته من أجل إبعاد ما تراكم بلا فائدة يغدو ضرورة من أجل إفساح المجال وإنشاء فراغات على شكل مسح الفائض غير المفيد وتقبل النتائج الجديدة القادمة من عمليات التحليل، وبما أن التطور الإنساني يتقدم بفعل إنجازات الحتمية اللحظية والمتسارعة يظهر التحليل لها على أنها خطوات تتحقق من أجل المستقبل الإنساني الذي لا يسير بدون الحاجة إلى تحليله وتقدير الاحتياجات .

الضمير

أين يسكن ما هو؟ هل هو هو؟ أي الغائب المجهول أم أنه حي رقيب علينا يتابعنا أين ما حللنا وإلى أين ارتحلنا وهل إذا انتهينا انتهى أم أنه يستمر، وإذا مات في داخلنا هل يصبح كل شيء مباحاً ونستطيع استباحة الأحياء والأشياء .

هــل هــو اللّه أم أنه أداة اللّه على شــكل الإبــرة الواخذه عند فعل كل عمل يســيء إلى أي شــيء بدءاً من ذات الإنسان وانتهاءً بالطرق الخاطئة على الأرض وقبة السماء؟ .

هل يسكن الضمير عمق العقل والقلب الإنساني ليمنعه من ارتكاب الأفعال المناقضة لمســيرة الحياة والحاجــة إلى تطويرها، فيكون هو الآمر الناهي ويشكل خاصية العقل وميزانه في إصدار أحكام معيارية تشــكل القيمة الأخلاقيــة لجملة الأفعال الفردية والمنعكســة على الآخرين،هــل هو النداء الوجداني الراقي الســاعي لفعل الخير، أم أنه يتجول بين كل ذرات التكوين الإنساني في بعديه المادي والروحي بكون الإنسان مجموعاً ذرياً حياً واعياً وعاقلاً؟ .

إن غايــة الدخــول على (هــو) أي الضمير هــو البحث في المحرم والمقــدس وفتــح جدران التابو والإضــاءة قدر المســتطاع، بغاية فهم علاقة العقل والقلب والذات العلمية والنفس الأمارة بالسوء وتوحيد المــادي مع اللامادي، بحيث تكون المصالحة الأبدية والتي تكمن فيها صورة الضمير (هــو) متجلية في كامل أبعادها المتراتبة فوق بعضها، أي مربــع الطباع ومثلث الأنواع فتظهر جملة الروح في الســبعة التي أول ما يتشكل في داخلها ويعطيها النبض وتتحرك بالضمير .

بالطبــع هناك علاقة بين الوعي وتطــوره والضمير وفهمه وكرامة الإنسان ونضوجه، فحيث ارتقى الإنســان كثيراً بعلومه التي ولدها

ليلـد منها ولادات المادة يعود لفهم الروح وهل هي سـكن الضمير، أم الضمير مستحدث عقلي ناتج عن تطور العقل الموجد لما وجد فأوجده كي يبقى وجوده موجوداً في دائرة الوجود الحي؟ .

هل هو المناعة والحصانة الـتي تحفظ الأجناس الحياتية وتخص المعـرِّف والمعلوم، أي العقلي الذي يتجلى في الفرد الإنسـان الأسـرة والمجتمعـات، فيكـون بيدهم وبينهـم ومعهم من أجـل الحفاظ على عالمناعـالم الأسـرار الذي بيدنـا مفتاحه والذي يجـب علينا أن لا نغلقـه، بل أن نزيده وصلاً واتصالاً من خلال زيادة الرقابة على ما في داخلنا من مكونات حية لها إدارة الاشتغال بالفعل الحياتي، فيكون هو الحسـاب الذاتي الواجب أن نتمتع به وتكون أوراقنا وأقلامنا جاهزة ويومية، لا بل لحظية لإجراء عمليات الفائض السـلبي أو الإيجابي الآن، هل يخطئ الضمير، أم أن الضمير ينسـحب من الإنسـان عند ارتكابه الخطأ ليعود فيحاسـبه إن أراد عودته ودعاه مرة ثانية إلى داخله فيجري معه عملية الحساب؟ .

هل يسـتطيع الإنسان أن ينجز هذه العملية بمفرده أم أنه حقيقة يحتاج الضمير معه فيحصل التكافؤ ويبدأ التدقيق والبحث على أنه منجـز وكيف أنجز والعلاقة بينهما وماذا أراد المنجز من إنجازه التي حملت العقل ليسـكن بها الضمير، والسـؤال الذي يفرض نفسه إلى أي مدى تكمن أهمية وجود الضمير والاعتماد عليه كركيزة تسـعى

لاستمرار الإنسان ومحاسبة فعله؟ وبتأكيد، ومن قناعة معرفية أقول: إنه الخير والحب وهو جملة السلوك الأخلاقي، يتجول بحرية بين مفرداتها بشكل الرقيب العتيد يحاسب هنا ويوبخ هنا، وهو المطالب الفعلي والباعث القوي الذي يحث دائماً على امتلاكها وتفعيلها، وأضيف قائلاً : للأمانة لا أعرف سكناه هل يسكن القلب أم يعيش في العقل أم هو أي الضمير في كليهما؟ بكونه مرتبطاً بالنطفة المكونة مع البويضة للإنسان وكرامة الإنسان وصياغة الإنسان، مهذباً إياه منمياً فيه الإرهاف الحسي والنسيج الإخلاصي كي يخلص بالحياة للحياة، موقعاً على سجلاتها أنه مر بها وأنجز لها أسباب وجوده .

إنه دائم السعي بتطوير شعور الخير داعم التطلع نحو القيم الأخلاقية، ورغبته تصر على تحقيقها ومهما حاول الإنسان أن يخفيه خلف تعبه ومشقته يعيش فيه مسقطاً تسلطه عليه كمحاسب شديد اليقظة ويريد له أن لا يخطئ بحق محيطه، يسعى دائماً لإدراك الحسن وإصلاح الخلل في الأفعال يزيد الهمة ويصطحب القدرة، ويعد الذات الإنسانية لتقوم بمقاومة الأفعال اللاأخلاقية مانعاً إياها من التحقيق، فإن حدث الإصرار خرج من الإنسان أو نام فيه أو مات محولاً إياه إلى إنسان نقول عنه لا ضمير فيه أو لا يمتلكه،الضمير لا يموت ولا يفنى فهو لا مادي إنما يسكن في الإنسان.

الحكمة

تتولد من الإدراك الحقيقي لماهية الحواس الخمس وأسباب وجودها والقدرة على استثمارها بالشكل الأمثل، حيث تحكمها الحاسة العاقلة بعقلها والناطقة التي تعبر عنها فتظهر المتمتع بها رصيناً رزيناً واعياً فاهماً ومتفهماً لما يملكه ولما يحيطه يتفاعل معه لتمنحه شكل الحكيم، فهي أي الحكمة: أداء فيه وحدة القول والفعل والحركة في زمن لحظي يحتاجه الموقف في لحظته وتكون على شكل المفتاح المفقود الذي تجده في مكان مظلم يخرجك إلى النور، كما أنها القول أو الكلمة التي تنجز فعلاً ينبغي فعله لفعل يحتاجه الوقت كي يظهر فعلاً حقيقياً، إنها جوهر فلسفة علم التكوين والتكون والكون، والاستبصار بها يريك أنها قادمة من امتلاك للمعرفة المتاحة بعد التأمل والتحليل لها وقد تؤتى نتاج كشف أو وحي وفجأة تظهر لتنفي وتبعد كل أنواع الغباء والحماقة، فهي بذلك عكس الأفعال السالبة مثل الانفعال والغضب أي ضد الحماقة .

الحكمة تدَبُّر وتدبير ومعالجة وعلاج للأمور والأعمال ومن أوتيها من ناتج علم أو معرفة أو فتح أو وحي فقد أوتي خيراً عظيماً و بها غدا حكيماً حضوره هيبة ووقار وحديثه أمن وأمان .

إنها تعيش في العقل تنمو وتترعرع كلما تقدم الإنسان عمراً واستطاع فرز الأشياء من خلال امتلاك المعرفة بالأشياء المحيطة واستوعب علوم

الحياة المادية والمعنوية وإذا أردنا التدقيق فيها نجد أنها ثلاثية متساوية الأبعاد فهي روحية وعلمية وعملية وظهورها وأداؤها يحضر من قوة العقل على التحكم بما فيه وإطلاقه عند الحاجة إليه فهي قوة العقل الحامل لصفات الذات ومرابط العلم الذي يؤدي في النهاية إلى الفعل المحكوم عليه من قبل المحيط المانح للمعرفة كي تنشأ الحكمة التي يحتاجها، إنها ليست الكتاب بل كلمات يؤتمن عليها في كتاب فندعوه كتاب الحكمة وهي ليست الإنسان بل تسكن في العقل وينطق بها الإنسان فنطلق عليه اسم الحكيم وجمعه حكماء وعلاقته تتكون من الوحي الذي يكمن بين الشيء والإنسان أي التأمل فيه الذي ينجب العلم المؤدي للعمل، وبما أنها تكون في الكتاب فهي بعضه وأيضاً يملكها الإنسان فهي ليست كليته بل جزأه فإذا شملته قدمته ورفعته وسَمَتْ به وعبرت عنه مظهرة دقة الوعي المكتنز في داخل الإنسان، الحكمة ترتقي بالإنسان فهي اختصاصه فقط تمنحه رؤية واسعة وواضحة وتهدئ من روعه وتبعده عنه فيكون بها متزناً رصيناً عملياً به الاستقامة من خلال معرفة طريق مسيرته والهدف المراد أن يصل إليه، هي ليست علماً ندرسه بل خلاصات علمية ومعرفية وروحية نتملكها وتتملكنا بعد حصول التعلم من حقائق الحياة الروحية والمادية، فإذا تم امتلاكها سمت الروح بالإنسان ورفعته إلى مراتب إنسانية راقية وترفعت عن القضايا اللا معرفية والتي لا تحمل في طياتها إفادة الحياة بمكوناتها.

الحكمـــة إذاً سمة الحكيم وقد تنشــئ له التعب عنـــد تجمع الجهالة حوله وعــدم رغبتهم في إصلاح ما خرب منهــم وحولهم فإما أن يتحول بحكمته إلى بهلول وإلا التعدي عليه ، وكثرة هم الحكماء الذين ارتضوا البهللة كي يستطيعوا العيش والإدلاء بدلوهم بين جمع الجهلاء لتلبسهم مقولة خذ الحكمة من أفواه المجانين .

وفي غفلة من مسيرة الحياة وأثناء نشوء النزاعات والصراعات والخلافات والحروب والتفاوض نحتاج الحكمة فتجدها بين أفواه العقلاء والعظماء، وأيضاً بين أناس عاديين بســطاء أو حتى أحياناً تأخذها من طفل وتكون على شــكل المنفذ أو المفتاح الذي يؤدي إلى الخلاص وهذه إن تكررت قد تعطي صاحبهــا كبيراً أو صغيراً لقب الحكيم، ولكــن في غالبيتها تكون طفرة أو حالة لا يؤخذ بها كثيراً ولكن تسجل على أنها سابقة أو حادثة يضرب بها أيضاً المثل، الحكمة عقل الإنســان وضوء قلبه والصحة تاجها فبدون إحداهما لا يكون الإنسان سليماً عقلياً ولا صحيحاً بدنياً .

الحياء

الحياء من حي ، ومعرفة شــروط الحياة حمله الإنسان معه منذ بــدء الخليقة وامتاز به عن ســائر المخلوقات الحية، حيث ســتر بــأوراق التين مالا يجب أن يظهره من جســده فكان به التأســيس الأول لمجموعــة الســلوك الإنســاني التي أظهرتــه وأعطته هذه

الصفة الإنسانية التي بها كان إنساناً، ومنه كان الحياء خُلقٌ يعمل علـى الابتعاد عن الأفعال الرديئة، كما أنه يشـكل دافعة لزيادة الإنتاج وإعطاء كل ذي حق حقه ، وهو يقترب في شكله ومضمونه من الخشـية بكونه يشـكل الحب ظاهراً ومضموناً إن كان طبيعياً، فالإنسان العاقل يستحي من خالقه ويخشاه كما يستحي من الناس لإدراكه أن لهم ما لهُ وعليهم ما عليه كما أنه يسـتحي من نفسـه عندما يتفكر محاولاً إبعاد أفكار الشر والتفكر في الخير فقط .

إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت ، به أبدأ وأقول: إن الحياء هو ابتعاد الإنسـان عن ارتكاب الأفعال الشـائنة والشـاذة ليس فقط بحق أخيه الإنسـان، وإنما أيضاً بحق الحيوان والنبات والجماد والأرض والسـماء، والـتي تضعه في مراتب وضيعة يشـير إليـه الآخرون بالازدراء، كما أنه امتنـاع النفس عن فعل أذى الآخر الذي يؤدي إلى انقباضها وتخوفها من الذم والعقاب .

إنـه صفة فعل الخـير بلا منـة ولا أذى ومثالهـا أن تعطي بيد فتسـتحي اليد الأخرى من النظر لمـا أعطيت والذي لا حياء فيه وقح متكبر غير محبوب مذموم على الأرض ومنبوذ من السماء .

إنه ليس غطاءً نختبئ خلفه أو احمراراً في الوجه وإخفاضاً للرأس ولملمة لليدين حيث يظهـر الخجل، فالخجل حالة مؤقتة وطارئة وينضوي تحت مفهـوم الحياء الذي يتمتع بالفطرية والكسـبية

أي يولد مع الإنســان يتخلق معه في اللاشــعور بكونه مصدر خير وحب وابتعاد عن فلسفة الشر والعدوان، وكسبي يتأتى من علاقته مــع المحيط ومعرفته بالموجــودات التي توفر له مناخات الســعي للحصــول على الفضائل والخصال الحميدة المانعة من التحول إلى آلية العدوان والاستباحة .

بالتأكيد إن خلو العقل من ميزة الحياء التي يكتســبها بالتعلم، وفارغ قلب من فطريتها يظهره بشرياً يعيش في غابة ليس بها موانع أو حواجز، ومع صغر المساحات الجغرافية وازدياد الكثافة البشرية غدا الحياء مطلباً إنسانياً وحاجة لحظية، بكون التلاصق الإنساني حصل، فإذا لم نتمتع بها يأخذ بنا إلى ارتكاب الكثير من الأخطاء بحق بعضنا بعضاً.

فإذا كان الحياء خُلقٌ طبيعي متناســب مع الآلية الحياتية يمدح في الإنسان بكونه محبباً، فإذا زاد عن الحد المطلوب خلق نوعاً من الاضطراب وأظهــر الحياء ، وإذا نقص احتاج الضغط عليه ليكون طبيعياً، وإذا كان في غير موضعه سبب لصاحبه إساءة وأظهره على شــكل الجاهل حيــث يضعف موقفه ويأخذه إلى مواضع الإســاءة فــلا حياء في طلب العلم وإصلاح الخطأ والاعتراف بالخطيئة ولا في البحــث الإيماني والتفكــر في الموجودات، ولا اســتحياء إلاّ من الأفعال الشاذة المذمومة .

إن الحياء فرع من شجرة الأخلاق مهم جداً لحياة الإنسان والإنسانية، وغيابه من الإنسان ينجب مظاهر رديئة ويؤدي إلى التفسخ الاجتماعي، ووجوده رفعة في الإنسان ونبلٌ في التصرفات وكرم أصيل يدل على الأصالة الوراثية وجذور الإنسان الحقيقي، والحاملون له هم أحق الناس بالفخر بهم والاحترام، فبهم الخير إذا ملكوه بكونه الخير فهو لا يأتي ويظهر إلا من خير، إنه نظام من أنظمة الحياة الضامنة لاستمرارها، وبقاء الإنسان فيها ونضارة الوجه من الحياء، فمن قلّ ماء وجهه قلّ حياؤه ومن قلّ ماء وجهه قلّ خيره .

النهاية والبداية

ماذا يعني أن أبدأ حواري المعرفي من النهاية وأصل به إلى البداية من أجل معرفة أين نحن وإلى أين ذاهبون بكون ما نعيشه بمؤشراته التي تحلل لحظة بلحظة وتحدد بدقة المصير المحتوم كالبُدِّ الذي لا بد منه، والبد للعلم هو: تابوت العارف والعالم، والذي أبدأ به ليس أسلوباً روائياً أو قصصياً كالخطف خلفاً مثلاً ولا فيلماً بوليسياً يأخذ بنا إلى متاهات الجريمة كي نكتشفها، إنما نحن بصدد حياتنا البشرية التي تهم كل مخلوق على وجه الكوكب الحي كوكبنا الأرضي.

إن علـم العدد ومجموعاته يبدأ من (٠) الصفر وينتهـي برقـم (١٠) عشـرة فإذا بدأنا من (١٠) أي من نهاية المجموعة ماذا نجد ؟ نجـد أن فيها البداية والنهاية ، الصفر (٠) هو البداية وبعده تبدأ الحيـاة من واحد واثنان وثلاثة وهكذا حتى نصل رقم تسـعة (٩) حيث يعتبر هذا الرقم رقم الاكتمال والولادة فإذا قفزنا إلى عشـرة (١٠) كان العـود على بدء ما معنى هـذا ؟ وما الغاية التي نريد أن نصل إليها ؟ .

إن نهاية البدء وبداية النهاية علاقة جدلية مقرونة ومتعلقة بكل تفاعلات الحياة وإنجازاتهـا وإبداعتها، وأيضاً تتعلق بصاحب الأرض ومن يرثها ،فهي عائدة للتشكيلة الأولى لا محال بترابط علمي وروحي لا انفصال له ضمن فعل طبيعي أو قسري، إلى الآن ندور في فلك ماذا نريد وما يعني هذا لنا نحن البشـر؟ نعود ونبحث هل النهاية نسير إليهـا من خلال الفعل الطبيعي القائم بـأن حتمية النهاية واقعة لا محـال بكون كل أمـر روحي أو مـادي له بداية وله نهايـة، فالنبات والحيـوان والإنسـان لهم نهاية وبداية كما أن ماديات الإنسـان التي أوجدها من حاجته للتطور: السـيارة والطائرة والسفينة ولباسه لهم بدايـة ولهـم نهاية، وبدقة أكبر إن كل وليد لـه بداية وله نهاية من صنع الخالق أو من صنع مخلوق.

نحن نتحدث عن المسـير إلى النهاية فكيف كانت إذاً البداية؟ من

السـياق التاريخـي وإذا أردنا الاعتراف يجـب أن نعترف أننا نمتلك عقـلاً روحياً يعيـش فيه آدم الديـن والإله، وهو أبعد مـا في ذاكرة الحياة الروحية حيث بدأنا منه نحمله في عقلنا وسـرنا معه تسلسلاً عبر شـجرته الوراثية الأخيرة والتي تجلت فيـه العائلة الروحية، حيث أنجب هابيل وقابيل وشـيث ومن شـيث ولد أنوش وقنان الذي ولد مهلاييل ومنه أتى إليارد حيث ولد إدريس عليه السلام ومنه أتى متوشـلح وولد منه لمك الذي ولد منه نوح عليه السـلام ومن نوح أتى يافث وسـام وحام ويام ومن سام ولد آشـور وإرم وعيلام الذي ولد له أرفخشد ومنه شـالخ وعابر وفالغ وملكان وآركو وشاروخ وناحور وتارخ (آذر) الذي أنجب ناخور وإبراهيم عليه السـلام، ومن إبراهيم أتى إسحاق وإسماعيل عليهما السلام اللذان أنجبا الفكر الديني ونبواته ورسالاته الإلهية الموحاة إليهم بشرائعها وتنوعاتها وتقسيماتها التي نحن الآن جميعنا نتعامل معها روحانياً، وعمر آدم الروحي في الجملة العمريـة لم يتجـاوز حتى الآن بحـدود ثمانية آلاف سـنة وعمره الافتراضـي كي تحدث الولادة الثانية تسـعة آلاف سـنة بحسـب نظرية العمر الجيني للوليد المقدر بتسعة أشهر وكل شهر بألف سنة، فهي مخاضات كونية نعيشـها ونستعين بجوهر كلمات القرآن الكريم القائلة (إن نشـأ نذهبكـم ونأتِ بخلق جديد) وأيضـاً (كم أهلكنا قبلهـم من القرون) والقرن أمـة ، وآدم العلمي الموغل في القدم حيث

وصلنا به مع الألفية الثانية لعمر ستة ملايين سنة، مروراً بإنسان لوسي الحبشي الذي وجد في إثيوبيا الإفريقية وعمره ثلاثة ملايين وخمسمئة ألف سنة وإنسان نياندرتال في أوربا وإنسان جاوا الإندونيسي، والاكتشافات تستمر وتستمر لتنبئنا عن أعمق أعماق الإنسان، حيث نسأل هنا كم آدم مر على هذا الكوكب الحي؟ومنه أيضاً نستفسر عن النهاية والبداية وكيف كانت كل سلالة آدمية ولماذا انتهت ليبقى منها ندرة تحمل مهمة إعادة بناء الأرض كما مرَّ في حادثة طوفان نوح حيث لم يبقَ على الأرض سوى تلك المجموعة التي حملها في فُلكه من كل زوجين اثنين ، إذاً نوح آدم علمي روحاني جمع العقل والحب وفهم معنى الخشية لا الخوف، فصنع فلكه خشية أن يزول هو ومن معه وتنتهي البشرية . والخشية تعني عدم الخطأ أو الجهد والفعل المقترب من الكمال بكون الكمال مطلقاً . يحب أن نستمر على هذه البسيطة ولكن بإرادة وخشية منه وله ، وعليه كان العقل العلمي يخشى والعقل الروحي يخاف والفرق بين الخشية والخوف: أن الخشية تحب القوة الخفية والخوف يخاف تلك القوة، وعليه تكون الخشية تتفهم النهاية وتعرف مقدار الخطأ الواقع على البداية وتحاول قدر المستطاع إصلاح ما خرب في هذا الكون بينما الخوف يستمر للنهاية .

السؤال الذي يفرض نفسه الآن لِمَ كل هذا الاستعراض ونحن

نتحدث عن النهاية والبداية بالتأكيد، إن بحثنا ينحصر بين الصفر والعشــرة بدليل شــرحنا لآلية حقبة آدم الروحية كي نعلم الجملة الحياتية المقدرة لحياة ســلالته التي تنتهي وتبدأ مع كل نهاية تصل إليها البشرية والتي سنشرحها بالتسلسل .

الآن بــدأت البشــرية مــن آدم الســاكن في عقلنا الروحــي وانتهت المرحلــة الأولى بالطوفــان العظيم ونجاة نوح عليه الســلام وصنعه الفلــك وأخــذه معه زوجاً مــن كل نوع، فــإذا كانت من هنــا البداية الجديــدة نتدارس معاً العدد الســكاني والحيواني لمرْكب نوح ونقول: إنه لا يتجاوز بضع عشرات، وعليه نسير معه ونصل إلى انتشاره على الأرض ورحلة تكاثره عليها ومن بضع عشــرات إلى سبعة مليارات هو عدد سكان الأرض اليوم فإلى أين نحن سائرون ،كانت الحياة بدائية مشاعية وتطورت إلى رعوية وزراعية ودخلت من العصر الجليدي إلى العصر الحجري ومن ثم إلى العصــر الحديدي إلى العصر البرونزي حتى وصلــت إلى عصرها الذهــبي، وكانت وســائطها الخيل والبغال والحمــير وأدواتهــا الأحجار التي أشــعل منها النار والقــوس والرمح والمجن والســيف ،كمــا أن الفكرة تطورت من عبــادة الطوطمية إلى الأشــتاف والســحر إلى آلهة القبائل إلى آلهة الخصب القوة والجمال والرعد والريــاح والأمطار، وأيضــاً ولادة الكنفوشيوســية والبوذية والهندوسية والزرادشتية وولادة الدين السماوي بشرائعه اليهودية

والمسيحية والإسـلامية، ومعه انتقل الإنسان من النوم على الأشجار إلى بناء الأكواخ ومن ثم الانحصار في المسـاحات، كما انتقل من فرد إلى الجماعة وأنشأ العشـيرة والقبيلة وتأطر ضمن مساحات كان له بها قيامة ومقام، ومنه وعليه تأمل في وضعه وتفكر فما هو عليه فعلم وتعلم ومن ثم عمل، وليسـتفيد من عقله بكونه إنساناً عقلياً عاقلاً أي له القدرة على عقل الأشياء، فأوجد من هذا العقل فهماً للحقائق الروحية قلدها مع تطوره وأوجد الوسـائط المادية المشابهة لها، أنجز الطائـرة من الطير والغواصة من الحوت والقطار والسـيارة والمراكب والسـفن، وما هي إلا تقليد لحقائق روحية لكنها مادية تفنى كفنائه وفناء الموجودات، فالتطور ذو آلية متسلسـلة كسلسـلة هندسـية لا انفصال لها الروحي والمادي وآليات التعلق والارتباط والخلق والتخلق، مرة ثانية الآن إلى أين نريد أن نصل معاً ؟.

كوكبنا هذا الذي نعيش عليه والذي يحمل اسم الكوكب الحي يطرح علينا سـؤالاً هاماً جداً أحملكم على سطحي فلمَ تتعبوني وترهقوني ولمـاذا هذا النهب الدائم لمكنوني ولماذا هذا التخريب الهائل لمحيطي؟ سأحدثكم عن ما أنتم سائرون عليه فهزة واحدة أُنهي حياتكم جميعاً، وعليه أشـرح لكم مبيناً الدلائل القادمة على نهايتكم واسـتبدالكم ببداية جديدة وأعدكم بذلك ولن يطول الوقت .

أبدأ بارتفاع درجـة حرارتي، وعليه انظروا حولكم وتأملوا وحاولوا

أن تعالجــوا لتطيلوا أعماركم، ارتفاع في منســوب مياه البحار وذوبان في القطبــين المغذيين والمبردين لحرارتي مما يجعــل حرارتي ترتفع أكثــر، وكذلك جبال الجليد وأنهار الجليــد العاملة دوماً على ترطيب قشرتي، أما النهب الدائم لما أخزنه في أعماقي من نفط ومعادن وتربة بناء واستهلاككم نتاج تكاثركم للحيوان والنبات والجماد من سطحي وتطوركم العقلي الذي أدى إلى تملككم علوم الذرة والفضاء ومحاولة هروبكــم مــن على ظهري إلى كواكــب أخرى، والتي لــن تجدوا مهما حاولتم الحيــاة عليها بكوني أنا الكوكب الحــي الوحيد في مجرتكم الرائعــة الجمال، ومن كل هذا آخــذ بكم ليحدث لديكم اتحاد مابين البصر والبصيرة لأولِّد لديكم الاستبصار.

مع الاســتبصار وصلتم إلى معرفة أن كوكبكــم محمي بغلاف جوي يعتــبر بما يحتويــه من أوزونــات وأيونــات وتربونات وســترانونات سفيرية في وحدتها غلافاً شفافاً لا مرئياً حامياً لكوكبكم الحي الذي أنــا بكوني حي أتحدث عنه، أي عن جوهري في كليتي وما بيني وبين الغلاف المحيط بي أعطي لحياتكم الأوكســجين والنتروجين والآزوت وأمتص ثاني أكســيد الكربون ضمن معادلات كيميائية فيها التوازن والاتزان بكوني مخلوقاً بقدر مقدر من أجل عيشــكم وحياتكم، فأنا بيدكم بدلاً من أن أُقاد لخير يعود عليكم ألاحظ أني أُقاد إلى نهاية حياتكــم، فحياتي لن تنتهي بل ســأتجدد بعد رحيلكم مع مجموعة

بشرية جديدة تبدأ التطور من جديد .

لا تستغربوا إن قلت إن هـذا الكوكب بيضة حية علينا أن نحافظ عليها وإن الكواكب الأخرى أيضاً هي بيوض ولكن دون حياة، ويجري البحث لمعرفة إن كان هناك عليها حياة والمؤشرات حتى الآن لم تعطنا نتيجة وجود حياة باستثناء الاستكشافات لكوكب المريخ وهو من ضمن مجموعتنا الشمسية التي تعيش في مجرتنا الكبرى وتضم تسعة كواكب عطارد (ميركوري) الزهرة الأرض المريخ المشتري زحل أورانوس نبتون بلوتو والتي دلت على وجود الماء عليه، ولكن حتى الآن لم يستطع العلم تحديد وجود بيئة وشروط نظامية لتوفر الحياة عليه، فإذا كان كذلك هل يعني أن هذا يدعونا لأن نهرب من كوكبنا الأرضي الحي الذي نعيش عليه إلى المريخ مثلاً، وهل يمكن أن نطرح سؤالاً: أن موت كوكبنا الأرضي القادم يعني ولادة كوكب حي آخر وهل يسمح لنا أن نفكر بالانتقال إلى كوكب آخر بعد اكتمال شروط الحياة النظامية، ألا تدل الأبحاث والبحث عن الحياة على الكواكب الأخرى إلى ذلك أن حياتنا مهددة وأننا لا بد واصلون إلى النهاية؟ فنحاول الخروج قبل حدوث الانفجار العظيم الذي يؤدي إلى النهاية الحتمية ونظرية البيضة والدجاجة هي حقيقة علمية ذات أبعاد ترتبط بالعقل واتساعه ومقدرته على العودة إلى الوراء والتخيل إلى الأمام من حيث هو يقف وينطلق في رحلة حمل الماضي

من أجل الوصول إلى المستقبل الذي سننتهي فيه حتماً، وحتماً تعني أن البيضة ستنتهي بحياة وليدها الذي هو الإنسان المسؤول عنها ويعيش ضمنها .

وإذ بي أستعير ما كتبته في كتابي الأول في فلسفة التكوين الفكري والذي قلت فيه (فالفضاء الذي يشكل البيضة الكبيرة من خلال قشرتها المحيطة ، والتي تضم كل الكواكب مع الأقمار والشموس تعيش ضمنها على شكل بيوض صغيرة ، كلٌ له شروطه النظامية منه من اكتمل وامتلأ حياة كأرضنا ، ومنه في طور التطور ، ومن خلال كوكبنا وتوضّعنا عليه وبتأملٍ بسيط نجد أننا نجلس في مكاننا مراقبين سماءنا لنجد السماء ومن كل نقطة على هذه الأرض بالتعاكس فنرى نفس المنظر ، فالذي يجلس على نقيضنا من الأرض يرى مانرى ويفكر بما نفكر) ليكون مثالاً أشرحه فالبيضة تتكون من صفار يشبه الكرة الأرضية والزلال هو محيطنا والقشرة الرقيقة هي الغلاف الجوي المؤمن، والقشرة الصلبة هي الغلاف النهائي الذي يحمي الغلاف الجوي وكامل الحياة ما بين كوكبنا وغلافها، وليكون في جملته متوضعاً ضمن المجرة الكبرى مشكلاً بيضة حية من بيوضها غير الحية، وعليه يكون أي خلل يحدث لهذا الغلاف الرقيق المتين الشفاف يؤدي إلى نهاية الحياة على كوكبنا الحي الذي أفترضه في المثال الثاني أنه كرة تعيش ضمن كرة زجاجية شفافة تسمح بدخول

النور وتحمينا من الفراغ الكوني ولا تسـمح بدخول إشعاعاته وأيضاً لا تسـمح بانفلات حياتنا خارجه بحيث تضمن لنا الجاذبية وتحقق لنا هذا الربط والارتباط على كوكبنا وبدونها لا يكون لكوكبنا حياة، وما نسـمعه من اختلال يتشـكل على شـكل ثقب في الطبقة الأولى المسـماة طبقة الأوزون المسـؤولة عن تخفيض الحـرارة الكونيـة مـن(٤٧٠٠ مْ) إلى (٥٠مْ) في خـط الاسـتواء يعـني لنـا الكثير وضـرورة فهم ما يحدث، أي أننا نسـير إلى النهايـة كما أن خروج أي كويكـب من مداره أو نيزك بحجم جغرافية بلدٍ ما وارتطامه بالأرض ينشئ هزة عنيفة وسماءً دخانية كافية لأن توصلنا إلى النهاية بأسرع ممـا نتخيل، وهذا قادم، وإن أخطر ما قام به الإنسـان من إبداعاته وخوارقه وصوله إلى شـطر الذرة وتطويـره للبلوتونيوم واليورانيوم وإنجازه الكم الهائل من القنابل الذرية الكافية لتدمير الأرض وإنهاء الحيـاة عليها مـرات عدة ، أما النهـب الهائل لثـروات كوكبنا وخلق تجاويف أرضية هائلة وإزالة الجبال الرواسـي والتي هي أوتاد الأرض الحيـة من أجـل البناء والعمران يؤدي إلى نشـوء الزلازل من خلال تحرك الصفيحـات التكتونية وحصول الفراغـات الهائلة في البنية التحتية لكوكبنا، مما يجعل الطريق سـالكاً أمـام حممه التي تعلن غضبها على أفعالنا .

إنـه التكاثر السـكاني الهائل الـذي يأخذ بنـا إلى النهاية، اليوم

وبنظرة بسـيطة نلاحظ ونشاهد ونسـمع عن نقص في الغذاء نباتاً وحيوانـاً ومياهاً، الغابات تحترق من الأمطار الحامضية لذلك تموت حزينة واقفة كمن يتطلع إلى الإنسـان معاتباً لمَ تفعل كل هذا وأنت تسـير إلى النهاية هل ستنتهي كل شيء معك فماذا سيبقى ليركب في فلك نوح القادم من البشـرية؟ أجل إنها الحتمية قادمة عندما تصل البشرية إلى تسعة المليارات وستصل، تكون الولادة قد اكتملت ووصلت مرحلة الانقلاب إلى العشرة أي الصفر، وواحد الذي منه تبدأ الحياة الجديدة ويكون الطوفان العظيم، أي مخاض الولادة الجديدة .

إن فهمنا لعملية الصفر المتكون من نقطة يعني فهمنا لعملية الجملة العدديـة والبداية والنهاية، فمن النقطة ولد الصفر الذي تطور إلى الواحـد وعندما يصل إلى تسـعة ينقلب ليعود إلى عشـرة أي صفر وواحد، ومعه نجد أن النهاية قادمة لا محالة، وبشـكل تلقائي هادئة بكونهـا نتيجة حتمية لـكل ولادة ولكل عملية منطقيـة رياضية أو اجتماعية أواقتصادية أو سياسية، فلماذا نعمل على تسريع الوصول إليها وما حديثنا هذا وبحدثنا الذي نسـير معاً به إلاّ لإيضاح معنى البداية والنهاية ولفت النظر إلى أننا نسيء إلى عملية التكوين برمتها، وإذا أخذنا عملية تكون الجنين فإن ولادته الطبيعية هي في الشـهر التاسـع، وإذا أسـأنا إليه فإنه ينتهي ويموت في الشهر الثامن، ويكون ذلـك نتاج الإجهاد الهائل الذي يطبق على محيطه فينتهي، وهذا ما

نفعله اليوم لحياتنا البشــرية ونحن نقترب من ولادتها فلماذا نعمل على تســريع إنهائها من خلال العبث بموجودهــا وواجدها ومحيطها بيئــة حاوية حماية لكل موجوداتها التي نحن جزء من مكوناتها، وما يجــري اليوم من تخريب للبيئة أي الغلاف الجوي والأرض وما عليها من نبــات وحيوان ومياه وجمــاد ومواد تخرب فتنعكس علينا ســلباً وتسارعاً في السير نحو النهاية، وعليه يكون الإنسان هو الذي يعمل على هذه الأرض وبالتالي هو المسؤول عن حمايتها وإبقائها أو خرابها وفنائها ليعيدها إلى النشأة الأولى .

أؤكد أننا واصلون النهاية لا محالة، وهي ليست لغة تخويف بشري إنما لغة خشية إنسانية بكون الإنسان تزداد خشيته كلما تعلم وامتلك العلم، أما البشــري فهو شــره نهم يعلم ويتعدى بعلمه على العلم كما يتعدى على التكوين الذي تعب الإنسان المحب الإلهي في إنجازه وكان أمامه إنسان الشر غير المكتفي بعلم الحقائق والمشرئب لتملك الكون، فلننتبه ونتدارك مايجري الآن ولنتطلع إلى الغد ونصلح مابين أيدينا فلنا في ذلك حياة نحياها مابين الصفر والواحد .

الذكاء التخصصي

العالم يتســارع ويستهلك كل شيء وبنظرة ســريعة نجده تحول إلى

مســتهلك يحتاج كل شيء وبســرعة ليس لديه الوقت للانتظار، لذلك غدا اللجوء إلى الذكاء التخصصي واعتماده منهجاً علمياً وعملياً حاجة أكثر من ضرورية، إن أردنا اختصار الزمن ومعرفة أين نحن وماذا نمتلك وماذا نريد لواقعنا شـبه السـاكن ليتحرك ويندفـع إلى الأمام بقوة، فحتميــة التطور لا تقبل الانتظـار، في ذات الوقت تبحث عن الانتقال مــن واقع إلى آخر ومن حال إلى حــال تتلمس أثناء ذلك كله البحث في المعلومات بدافع تقويتها وإفراد مساحات ومسارات توزع عليها الأجيال ، ورؤيتها في ذلك استمرار الحياة من خلال فرض فرص أفضل لحياة فيها الحياة لمن يســتخدم الذكاء التخصصي، وبمعنى أدق كيفية اســتثمار قــدرات العقل وتوجيههــا ، بقليل من التأمل بدأنا نــرى تقلص المدارس الشــاملة في العالم الأول والثاني وبقائها في العالم الثالث، وبدقة أكبر أخذنا نرى التخصص العلمي من الســن المبكرة في مجال ما كي يحدث الإبداع، بينما نرى في مدارسنا أن لا تخصص مبكر حيث يأتي في سنين متأخرة لنجد أننا خسرنا الكثير من الزمن وعندما نحاول اللحاق به لا ندركه وتبقى الهوَّات شاسعة بيننا وبينهم، نلهث وراءهم بغاية تحصيل ما ندر وبقي من موائدهم الإنتاجية والعلمية .

دعونا نطرح مثالاً وليكن في مجال الحاسوب، فعندما نختار مجموعة أطفال ونعلمهم بشــكل تخصصي، كل مفرداتــه ومنذ المرحلة الأولى مبتعديــن بهم عن باقــي العلوم دافعين بهم إلى عالمه فماذا ســينتج

لدينـــا؟ وفي أوقـــات قليلة مـــا إن يصلوا إلى مرحلـــة التعليم الثانوي حتـــى نجد أننا نمتلـــك جيلاً متكاملاً من المبرمجـــين النخبويين من المصممـــين النادريـــن، فنكون بذلك قد أنجزنا جيـــلاً ذكياً تخصصياً في فترة قياســـية ولنتابع في باقي التخصصات: الفيزياء الرياضيات اللغات الكيمياء الميكانيك الإلكـــترون والكهرباء ، إن هذه اللغة التي أعتقد أنها بدأت تسود العالم اليوم هي لغة إعمار الأرض وإنجاز لها، كما أنها ستغدو أهم وسيلة من وسائل العيش المتطور، وحاجتنا اليوم لتأمين مستقبل فيه حياة كريمة للأجيال القادمة غدت ضرورة بكون الكثافة السكانية قادمة بقوة رغم محاولات عرقلتها وإبطائها .

أجل، المدرســـة الشـــاملة والجامعة الشـــاملة بدأت تتقلص وتتجه إلى التخصص من أجل زيادة الإنتاج وإيجاد منافذ للعيش من خلال المعلومات التخصصية، وإن بقاءنا في فلك المدارس الشاملة سيبقينا ضمن مساحات الانتظار والتخلف التي لا تنتج وفي أحسن حالاتها إلا الندرة التي سرعان ما تجد طريقها للخروج من واقعها في رحلة ابتزاز من العالم الأول ونهباً للعقول والأدمغة التي نتعب عليها كثيراً كي تصل، وكثيراً ما تكون على حساب الكثرة الهائمة في متاهات البحث عن العمل .

إن مساحة العطالة والبطالة تتسع وتتسارع مع جيل يتقدم خلف جيل حاملٍ لشهادات ووثائق جامعية فيها الكثير من المعلومات غير الخبيرة، وبـــدون تخصص ذكائي تنطلق في زحمة الســـوق وكأنها تدور في الفراغ،

تتعب، وتتعب معها أسـرها ومجتمعها ودولها. من هنا أقول: إن تخصصاً عميقاً في الحاسـوب وفي المحاسبة وعلوم العلاقات المصرفية وفي اللغات وفي أنواع المهن والعلوم يُنشئ مجتمعاً ماهراً يطلبه وطنه أولاً، والفائض مطلوب عالمياً فلديه الفرص في وطنه كما لديه الفرص على مساحات الأرض، فاليوم لا مجال لضياع الوقت وضمن عزوم التسـارع الحياتية نلاحظ أن لغة الانتظار قد انتهت ولغة الدخول واستيعاب آليات العمل قد غدت هي المطلب الرئيس عند التقدم إلى أي فرصة، فالذي يجيد يجاد له، فمنه وعليه هي دعوة لاستثمار القدرات العقلية والهائلة التي يتمتع بها كل إنسـان، فإذا كان الذكاء هو العمر العقلي للإنسان الذي يتحدد من مقدار ما يكتسـبه من أزمان يدمجها مع بعضها ليختصرها في زمـن واحد يعيـش به فعل الإنتاج يكون به منتجـاً يمتلك الفائدة المشتركة ليظهر نتاجه في المحيط الأسري والمجتمعي والوطني تنعكس عليه إيجاباً من حيث غدا إنسـاناً ماهراً يحمل ذكاءً تخصصياً مطلوباً من الجميع به يسـتطيع العيـش باحترام وكرم، وبه يصبح مسـؤولاً حاملاً حقيقياً لمسؤوليته ضمن أسرته ومجتمعه ووطنه .

الواقعية

تكمـن الواقعية في الحاضر الذي يعيش بـين الماضي المنتهي زمانياً

والمستقبل الذي لم يأت بعد والمتلك للخيال والحب، تتملك الإنسان العاقل تتجول في مكنونه الفكري وتتحرك عبر محيطه تطالبه بفهم واضح للحياة وموجوداتها إن أراد تصويرها والتعبير عنها بشكل منطقي مفهوم، وتأخذ بيده بإضافة الإيجابي وزيادته عليها وإصلاح ما استطاع من الخلل المركب إن وجد بها، وتدعوه لحظة بلحظة لتطويرها وتبادل الفائدة معها مقدمة له أشكالاً من الراحة أثناء مسيرة تقدمه ضمن إرادة الممكن والمتاح، وإنني أبتعد كثيراً عنها كمذهب فكري مادي إلحادي، وأدخل عليها من باب كونها مطلباً تقديرياً غايته تقدير الواقع ومعايشته فأخرج بها من حيز السفسطة والطوباوية وأبحث بها على أنها فلسفة يحتاجها الواقع وتعميم فهمها كي لا تبقى ضمن أدمغة المفكرين وعلى سطور أوراق الكتب والنخبويين .

هي فلسفة البسطاء وتعني ببساطة تقدير الأمور وطرق التعامل معها من خلال موضوع: الموجود أفضل من العدم، إنها تعيش مع الوسطية في الأسواق والأسر والأفراد وقدر المجتمعات أن سوادها الأعظم واقعي دون أن يدري أنه يمارسها، وأنا أشبِّهها على أنها حالة الرضى، الذي يرضى، هو واقعي ودونه يعيش على نظرية الاحتمالات فإما أن يصعد وهم ندرة وإما أن يسقط وهم قلة، أي أن الواقعيين هم الراضون ولهم الحق في الأحلام الواقعية حيث إنهم يقدرون قدراتهم

وممتلكاتهم وينطلقون منها، فإذا غامروا فيكون كمثال إما الغنى وإما الفقر، وبما أن الإنسان ابن المحاولة ويمارس الاحتمال ويخاف الفشل وأنـــه يتأقلم مع واقعه بحكم الضرورة لتظهر عليه صورته الواقعية، أي أن الواقعية هي سياســـة التكيف مع الواقع وأيضاً هي تبتعد عن البراغماتية، والتي هي مذهب سياسي تستخدمه الدول لتتكيف مع ظروفهــا ومحيطها بغاية الحفاظ على ما تملك، وأعود من خلال هذه المقارنة لأطلق عليها أيضاً أنها الواقعية .

إن الجملة الحياتية وما تمتلكه من مقومات وقواعد وثوابت كالخير والشـــر والطبيعة وما تحتويه من مســـاعدات على الحياة والســـعادة والفرح تدعونا أن ننظر إليها من منظار ثنائية العينين اللتين تحملان المنظار الذي يجب أن لا نرى فيه المثالية وأن يبعدنا عن الســـوداوية، وأنـــا أعتقد أن ما بينهما تكمن الواقعية الـــتي تأخذ بنا إلى النجاح للحياة، كما أنه ينبغي علينا أن لا نفسرها من مبدأ التضاد والتطرف فالصورة الجميلة هي الصورة التي تستمتع بها عيناك ويحللها عقلك وترى فيها ما تريده فتقول عنها إنها صورة واقعية فلقد رأيت فيها ما يسعدني ويريحني ويبعد الألم عني .

للواقعية مهمة كبرى هي استكشـــاف الواقع وإدراكه وعدم التباين معه، فهي لا تزوِّر في حقيقته شيئاً بل غايتها المساعدة والإضافة من أجل اســـتمرارها، بما أن تقدير الواقع يعيـــش في الفكر حيث تجري

فيه عملية الحساب والمحاسبة وإعطاء أوامر التنفيذ؛ لذلك هي صورة من صور الإنسانية يمتلكها الإنسان فتظهر بها صورته وتمنحه لقب إنسان واقعي وهذا ما نحتاجه .

إن العالم حقيقة واقعة يحتاج الواقعيين المنتجين المنجبين المبتعدين عن الرومانسية والماورائية والخيالية كي يحتمي بهم ويقدمون له الحماية، كما أنه يحتاج الحياة اليومية لمنتجيه والمحافظين عليه من البسطاء الذين يحبونه ويتبادلون معه حاجة الاستمرار ليحميهم.

المستحيل

لمجرد أن تلفظ بأنه مستحيل يتحول إلى ممكن، فما سمعناه وشاهدناه منذ أقدم القدم الذي سكن التاريخ يقارب المحال وغير المعقول وعدم قابلية تحقيقه بالرغم من أنه موجود ، فذاك الذي حدث وأنجز ألغى المستحيل الماضي وعاش في طلب الحاضر فولدت كلمة مستحيل منه .

وإن تفعيل كلمة مستحيل والعمل على تحليلها وتفكيكها وخلق نقيض لها يكون بمثابة التحريض، وقيام المحرض واندماجهما معاً ليظهر المتحرض فنخفف من المستحيل ليحوله إلى محال والمحال إلى ممكن ومنه إلى واقع ، فهي الوهم الخفي الافتراضي وغير المعقول ضمن

فلســفة المعقول ، الذي يرهبك ويخيفك لترفض وجوده وبإصرار في كثير من الأحيان ،كما أن مستحيل في اللغة الإنكليزية (Impossible) تعني أنها ممكن ، فهي تحمل في تكوينها معنى أن المســتحيل حقيقة الممكن الواجب الوصول إليها ،ومن هنا نجد أنه لا يوجد مستحيل إلا في الفكر السلبي المتصادم مع الحياة وغير المتصالح مع وجوده ومهمة له، وبالتدقيق نجد أن الإنســان حصر المستحيلات الثلاثة في الفكر الخيالي، وأكد بالتالي على عدم وجود المستحيل إلا فيها عبر مقولة (الغول والعنقاءِ والخِلّ الوفي) وعندما يُســأل يقول : المســتحيلات ثلاثة لارابع لهما ، وبما أن الإنســان خارقة الحياة العقلية الوحيدة وظل الكونيــة المطلقة مادة وروحاً علــى الأرض لتغني مادته وتبقى روحه جائلة في مداها الذي لا تنفصل عنه ، وبكونه يمتلك عقلاً فبه ذاكرة كبيرة الاتســاع أنجز منها كل ذواكر العلوم ووزعها على العقول الإنســانية ، وحفظها في مادياته الأدبيــة والكهربائية والإلكترونية والليزريــة ، وامتلك متابعة البحث والإصرار عليه ولم يقبل الانهزام، بل امتلك قدرة المتابعة والكفاح ، فكان بوجوده وجود حقيقة لا عدم رفض بهذا الوجود المستحيل ، وأصر على متابعة المسير ، فمن يقل لن أصل وتهول عليه الصعاب يوجِد للمستحيل باباً يدخل منه لينحصر فيه ، وإما أن يختار الإصرار على المتابعة فهذا لا مســتحيل لديه ولا يعرفــه ، إن الولادة حقيقة علميــة كما الموت حق فلا يدخلان تحت

أو فوق أو مع مفهوم المســتحيل الســلبي الذي يخرج عن الاعتقادات والاعتناقات وفلسفة البحث في الجوهر ، أما المستحيل الإيجابي فهو الذي يقول :إنني مستحيل أن لا أرحل وإنني منتقل ومتنقل وحتمية وجودي وســببه كانت وســتبقى من أجل خدمة الكونية التي يحدث بها التجانس مابين الأرض والســماء وما بينهما وإن استحالة وجودي هي اســتحالة وجود الكون ، وبما أن الإنســان سبب وجود الكون فهو يعيش على طاقته وأحلامه وآماله التي تتحول بفعل التأمل والتفكر إلى إيجــاد الحلول ، والعمل على تحويــل نتائجها إلى خدمات تعود على الإنســان فتنفي وجود المستحيل الذي لا وجود له في الأساس ، بل اخترعه الإنســان الضعيف الاتكالي بغاية عدم استثمار قدرات عقله الإبداعية ، والاستســلام لقدرات جسده المساعدة في الحركة والانتقال ، طبعاً ، وبما أني أشــير إلى المســتحيل ووجوده خارج إرادة الإنسان وطالما أنه لم يسعَ إليه فإنه يعيش في عقله الظاهر والباطن، أما إن أدركه وحوّله إلى ممكن وأدخله إرادته نفى وجوده وبسرعة لا يخالها أي إنسان ، لذلك اعتاد الإنسان على خلق المستحيل في العقل البعيد أي عن كل شيء خارج الإرادة والإدراك والهمة والحركة والعلم الذي صور بكونه خارج العقل مســتحيلاً ، فكان منه أن أبدع الخمول الإنساني وضعفه وعجزه عندما لا يريد تفعيل الفكر وتحريك المادة مقتنعاً بعدم جدوى الإدراك .

هكذا هو المستحيل يعيش فقط بين التجمعات الإنسانية الضعيفة، فهناك من يقتنع بأنه موجود وهو حصار الإنسان للإنسان، أي بمعنى أدق إرادة الإنسان على الإنسان بأن لا ينمو لا يكبر لا ينطلق ، يضع له العقبات بغاية إقناعه بعدم جدوى وصوله لهدفه وتطوره ، محاولاً إقناعه بأن تطوره مستحيل ، فإذا استسلم لذلك عاشه، ولكن إن تطاول وكبر بعقله على مادياته استطاع أن يقفز فوقه متجاوزاً إياه مخترقاً الصعاب مذللاً لها من أجل خدمته ، محوّلاً إياها إلى نتائج مرنة وحركة فرحة تسعد وجوده وتقنعه بأن الحياة حقيقة واقعة وإلاّ لكان هناك استحالة في وجودها واستمرارها ، وبما أنها مستمرة فلا مستحيل معها ولا شيء مستحيل ، طالما أن الإنسان يقول : أنا إنسان أحول الأشياء بعقلي من اللاممكن للممكن ، ويغدو وجوداً يرافق وجودي .

ممكن

جواب فهم غير كامل ، يدل على إمكانية تحقيق الطلب دون الالتزام بحرفية التنفيذ (وممكن) تدخل في إطار الاحتمالات فإما أن تصيب وإما لا ، هذا يعني أن لا مستحيل فيها ، وفي ذات الوقت لا كمال لها ، وبما أنها مفهوم فهم مشترك فيه الكثير من الكمال كما أنه يحمل

كمـاً من النقص الفهمي ، يتحول إلى مشـترك لفظـي بين الواجب وعدم إدراكه فتكون فيه العلة وتغدو الممكن معلولاً ، ففهم موجودية المعنـى غير الكامـل يدعو إلى تحقيق التأكد بعـد الثبوت والتحقق فتكون ضمن الموجود واللاموجود ، منه ندرك أن ممكن هي مشـترك لفظي ومشـترك معنوي ومشترك تشـكيكي عند البحث في فلسفة التكويـن ، فهو خاضع (أي الممكن) لمفهوم الوجود والإمكان فالوجود ثابـت والثاني معنوي تشـكيكي ، ومن هنا كان الممكـن داعياً لزيادة الفهم وتعميقه ، فلا يمكن إدراك الوجود كله من خلال عمق ماهيته، ولذلك نقول: ممكن فهمه ، وهذا يؤدي إلى إمكانية فهم الوجوب دون تحويله إلى واجب فهم ، ويمكن: تشـبه في الجـواب ممكن أي قابلية التحقـق وتعني الفهم الناقـص دون الاعتراف بالنقص، حيث نأخذ الإمكانية من الممكن ونسـير فيها وهي أفضل من المسـتحيل تتعاكس معهـا بالرغم من سـكنها وتوضعها في داخل المسـتحيل لأنها حقيقة الشـيء الجزئية ، بالتعمق تتحـول إلى تحقيق فهمي راقٍ يؤدي إلى الإدراك النوعي.

ومعنـى «أن ليـس بالإمـكان أفضل ممـا كان » يدل علـى أن وجود الإمكانية أفضل من عدمها ، فإذا تم التمسك بالإمكان والمكان وحدث التعلـق كانت إمكانية الممكـن قادرة على البنـاء ، وتطويره من رؤية وجـوده الأولي والتخلق مـن الممكن أي : العمل علـى الممكن لتنتفي

فيه صفة اللاممكن ، ومن هنا ينشأ سؤال ما هي الإمكانات والممكنات الـتي يمتلكها كل واحد منا ألا يجب علينا أن نتعمق ونفهم ما نمتلك لننطلـق منه ؟ وعليه فأنـا أعتقد أن كل واحد منا يمتلك الكثير من الإمكانـات، وتتعلق هـذه الإمكانات بالقدرة الأولية على اسـتيعابها وفهمها ، ومن ثم التأسـيس منها وعليها ليكـون للممكن وجود كبير ضمن المسـاحة الفوضوية والعشوائية ، حيث ينبغي أن يتم تهذيبها وتنظيمها وسـحب الممكـن منها وتحويله إلى حقيقـة علمية ننطلق منها، بكونها أصبحت قاعدة وشـواذها اللاممكن ، وحالة قبول الممكن تتحـول إلى ضرورة حياتية عندما لا تتوفـر الظروف المثلى ، أو تقِّل ذات اليد فنعمل على الاستفادة منها وضمن حيِّزها ، ويجب أن ندركها ونحافظ عليها بكونها جزءاً من الزمن الذي يتغير أثناء مسـيره إلى واقـع يمكن قبولـه أو رفضه أو التمرد عليه ، كما يمكن تكريسـه في الحالات الخاصة ومع فترات الضغـوط الطارئة أو المحتملة ليتكيف معها وينطلق منها مكوناً فكرتهـا ومؤمناً بها وعاملاً على تحويلها إلى إمكانيـة بَعْد تمكينها علمياً ، وممكـن ، أقول بالتأكيد : إنها جزء من الإمكانـات الكثيرة التي نختار منها المتوافقة أثناء مسـيرة حياتنا ليتحقق عيشنا.

إذاً ، الممكـن فَهمٌ ، علينا الاسـتبصار به بكونـه ينتظر بين الواقع والمسـتحيل ، كما أنه نظرة إلى المسـتقبل الذي يؤمن بأن كل شـيء

ممكن يدخل في إطار الطموح والتفاؤل والشعور بأنه قادم يعني ضرورة استكشافه ،كما أنه أكبر حافز على التعلم ، إن امتلكه الإنسان، فلولا الممكن الذي أسميه نظرية الاحتمالات لما كان البحث العلمي والإبداع الإنساني في شتى المجالات ، هي كلمة بدأت بها من باب الممكن علّي وصلت بها إلى إمكانية شرح معناها بغاية تملّك الممكن .

اللياقة

تخص الشكل الإنساني وتناسقه ومرونته ومقدرته المادية واللامادية على الحركة بسهولة ودون مصاعب أو اتكاءات ،كما أنها مسؤولة ضمن الروح الإنسانية وتجانسها ، ومهمة جداً للرحلة العمرية التي تعيش فيها حياته وعلاقته وتوحده كإنسان يقف على الأرض وفوقه السماء ويحيطه المكان بكل موجوداته ، من هنا تحضر اللياقة وتطلب من الإنسان أن ترافقه بل أكثر من ذلك تتداخل معه ، مخترقة أبعاده، تعينه وتساعده في إنجاز ما يريد إنجازه ،وإلا يتجه الجسد إلى البلادة والاسترخاء والبطء فيبقى بدونها جسداً صعب الحركة ، يتأثر العقل رويداً رويداً بهذا الضعف ويهيمن عليه متحولاً إلى ملل يؤخر أسباب وجوده.

بالتأكيد هي مفهوم ينبغي إضافته إلى جملة المفاهيم التي تنظم

الفعل البشـــري الــذي يتحول معها البشــر إلى إنســان ومعنى ، إنها مفهوم أي ؛ ينبغي فهمه واســتيعابه وتعوّده عند الكثرة ، لا أن تبقى عند الندرة ، فهناك من حوَّلها إلى اختصاص رياضي تخص الرياضة فقط، وأوجد لها القواعد ومارســتها فئة الرياضيين وحوَّلتها لديهم إلى هاجس مخيف ، فبدونهــا لا يكون الرياضي رياضياً ولا يحقق ما يصبــو إليه من أحلام الفوز والنجــاح والوصول إلى منصات التتويج، لذلك نراه يخاف على صحته منظماً إياها ومخضعاً لها لجولات كبيرة يومياً من التمرين ، كــي يبقى جاهزاً ومتهيئاً لخوض غمار أي دعوة تؤهله لتحقيق إنجاز، أما الكثرة من الناس ؛ وهذا محور حوارنا حول اللياقــة وغايتنا الوصول إليهم ، فمنهم من ينتبه لها ومنهم لا يهتم بهــا ، على الرغم من أنها غدت مطلباً ضرورياً وطبيعياً يجب أن نعمل عليه ونمارســه بشــكل يومي وحتى لحظي، بكونهــا ترتبط بقدرتنا على تحمل أعباء الحياة التي أصبحت ســريعة واســتهلاكية ، تعمل على اســتهلاكنا بسرعة ، فإن لم ندركها ونتعامل معها بيسر وسهولة فاجأتنــا ووضعتنا في خانة الضعف والتردد عند حدوث الطوارئ من الأمور ومســتجداتها ، أو عند طلب اللهفة والاســتغاثة ، وهنا يكمن الخوف من حدوث الانكماشات والتشنجات في الجسد والعصبية وردّات الفعــل البطيئة في التعامــل مع الأفعال والمــادة ، أي: بدونها يضعف الجســد وتُســتهلك الروح ، من هنا ننطلق ونسأل عن اللياقة وحاجة

الروح إليها وتأثيرها على البدن ، والعلاقة الإنسانية التي تنتج من تأثيرها في هذا التجانس ، والوحدة التي تشكل الصورة بتجلياتها الإنسانية ، فإذا تمتع الإنسان بها أنجب روحاً محبة وجسداً مرناً، أي: امتلك الروح والجسد الرياضيَّين ، ويتجلى هذا المشهد عند الأزمات ومواجهة الصعاب وإيجاد حلول للمشكلات المتزايدة مع تسارع الحياة ومتطلباتها .

هي اللياقة إذاً ، تدريب وتمرين وفلسفة ، جوهرها لياقة الروح ومظهرها تناسق الجسد ، تجعل من الإنسان سلساً مرناً رشيقاً ودوداً قادراً على تحمل الصعاب معطاءً ، ومطلوباً في الأسرة والمجتمع ولائقاً له عندما يتمتع بها ، واحتياج الجسد للتمارين والتدريب والمدربين والمراقبين ونظام تغذية عاقل ونظافة واهتمام كي يبدو أنيقاً ولبقاً، أيضاً تحتاج الروح المعرفة والثقافة والعلم والفهم والحب لتبدو بلياقتها مرحة وفرحة وسعيدة وجذابة ، تتشارك مع الآخرين وتبادلهم الحب والاحترام الذي يحتاجه الناس اليوم أكثر من أي يوم مضى ، مبتعدة عن نظام التخفيف القسري ، حاملة لشعار ضرورة المرونة البدنية والروحية أي الأخلاق .

إنها بمجموعها لغة إنجاز ومفهوم يجب أن نعمل على امتلاكه ، فبها تكتمل صورة المجتمع التي تظهره كمجتمع متناسق يمتلك اللباقة والأناقة منسجماً مع ثلاثية الإنسان المتساوي الأضلاع ،

يقدم الآخرون له الاحترام من خــلال تمتعه بهذه الصفات وإكماله بها لصفات الإنســان المتصالح مع ذاته الواعي اللحظي للحفاظ عليه من أجل اســتمراره وبقائه ، فالإنســانية صفات ، ومن صفاتها اللباقة والأناقة التي تظهر في اللياقة .

اللباقة

إنها اللطافة والظرافة والحكمة ، التي ترســم شــخصية اجتماعية محببة ، قادرة على اكتساب محبة وصداقة الآخرين بالسلوك الذي يعــبر عن الاهتمام بهم والإخلاص لهم ، مــن هنا ننطلق ونقول: إنها فعل كســبي يتأتــى من محيــط واع يحمل مجموعة معــارف فهمية تتولــد منهــا الأخلاق اللطيفة التي تتوج بســهولة حركة الإنســان ومنطقه وتصرفاته ، فتظهر مكوناته لبقة تســتند في مقوماتها على الصــبر وتعليم الذات ، ولجمهــا وتنظيم الأوقــات وترتيبها وتنفرد بتميزهــا وتمتعها بالكثير من اللطف والرقة، ويشــار إلى حاملها كما يشــار إلى اللوحة الجميلة أو الموسيقا المنسابة من الطبيعة الهادئة ، وفي مجموعها تبدو من حركات وإيماءات وألفاظ تلفت نظر الآخرين وتجذبهــم فتنجز فعل التلاقي الراقي ، ومطلبها زيادة جمال الصورة الإنســانية المطلــوب تكوينها في صورتنا . طبعاً الإنســان يســتعجل

حياتــه من خــلال كم الرغبــات المتجمعة فيه والــتي تطالبه دائماً بالسرعة ليبدو مظهره فيها عجولاً من خلال تدافع الرغبات الحاملة بالوصول قبل بعضها ، فينشأ التخبط وتكون غير مرتبة وتستخدم أحيانــاً العنف غير منتبهٍ لرغبات الآخــر ولا تمتلك قدرة الانتظار ولا احتمال الصبر، فيظهر الإنسان غير لبق من خلال متابعة أفعاله غير الإنسانية ، ولبق تعني: التناسب والتوافق ما بينك وبين الإنسان الآخر، ولبق لك أي: تناسب معك وتوافق ، ويلبق لك أي يُظهرك أكثر جمالاً وحضوراً وتمايزاً .

لا يكفي أن يمتلك الإنسان الخير والفضيلة لينطلق في حياته مُطلقاً لهــا العنان ، بل ينبغي من الحامل لهما أن يعي الظروف المحيطة بهما ومقدار الأدنى والأعلى كي يستطيع أن يقدم ما يحمل بعد تهذيبهما مراعــاة لشــعور الآخرين ، وامتلاكــه إرادة تطوير الأفعــال وتبادل الإيجــاب منها مع المحيط بعــد أن يرتب ما لديــه ويقدمه بطريقة لبقة، فحاجة الفضيلة والخير للضبط العقلاني ليؤدي إلى نزع الشر من الآخر أو على الأقل حصره وضبطه ، فهذا التصرف إن حصل عبر قوة اللباقة فيكســب احترام الآخرين ، وبه يكون شــجاعاً وصريحاً يعطيك المحبة ويشعر الجميع بأنك صديق ، وأنه يمكن الاعتماد عليك ووضع الثقة بك ، إذاً لتكن الابتســامة حقيقية لا جوفاء ولا صفراء ، والســعادة روحانية عند الالتقاء بالآخرين والنقاش الذي يســوده

الاحترام وإشــعارهم بأهمية الآخر، فــإذا بحثت في ما يحمل الآخر من جوانب إيجابية وطورتها كســبته ليكسب من لباقتك كمحاور، من منــا لا يتمنى الفوز بحب وثقة الآخرين ؟ من منا لا يحب بأن يكون مؤثــراً مع الآخــر والمجموع وترك أثرطيب ؟ ولكــن كيف يكون ذلك وكيف تتكون الحظوة وما هي آلية القدرة على إقامة علاقات ناجحة سهلة ومرنة ؟ لا شك أن هناك مفتاحاً لكل ذلك اسمه وشكله اللباقة، ولغتهــا الاجتماع والاجتماعية التي تعيننــا على فهم الحياة وحبها ونشــرها على نطاق واسع . إن اللباقة مفتاح القلوب المغلقة وهي درب من دروب اكتساب الحكمة ومقوماتها والفطنة في تعاملاتها والجاذبية التي تفرض نفسها بالحب لينجذب الآخرون إليها.

لا تعني اللباقة خداع الصورة ولا تلبس أي شكل من أشكال الاحتيال، فلنعلــم أنها خُلق يتمتع بصدق النوايا وأساســه المعرفة والإخلاص ، إنها مطلب خلقي وأخلاقي تستند على الأدب وآدابه وحضور اللباقة كرافعة شخصية ترتسم على الوجه البشري وتنبع من الذات الخفية وتتوحد ما بــين الجوهر والمظهر فتُظهر الإنســان كوحدة متصالحة محببة فيها كل الجمال الإنساني .

إن اللباقة قيمة إنسانية شعارها الحب والإخلاص والترقق والترفع وتلطيف المعاني ، المرونة صفتها بدون إفراط، والشدة والتشدد مبتعد عنها ويجــب أن يبتعد عنها فلا إجبار ولا إكراه فيها ، إن اللبق محب

محبب في المجتمعات الإنسانية ، لنعمل على امتلاك هذه القيمة الإنسانية وتعميمها ، إنها اللباقة مطلب الإنسانية .

الذكاء

إنه العمر العقلي للإنسان الذي يتحدد من مقدار ما يمتلكه من أزمان يدمجها في زمن واحد محولاً إياها إلى فعل منتج يمتلك الفائدة المشتركة، تظهر نتائجه في المحيط الأسري والمجتمعي تنعكس على صاحبه إيجاباً بمنحه لقب الإنسان الذكي، ومن هنا نلاحظ أنه الاستثمار الأمثل لقدرات العقل المرتبطة، والمتوحدة مع بعضها بسهولة وقوة لتعطي نتائج عملية وواقعية تؤدي إلى حالة الإبهار والعرفان الذي يدلي به الجميع بالإشارة إلى مالكه، وعليه نقول: إنه القدرة على إدراك العلاقات التي تتوضع فوق السهولة وشكلها الصعبة أو الخفية، كما أنه (الذكاء) قادر على اكتشاف الصفات الملائمة للأشياء والأفكار وتبسيطها وربطها بعضها مع بعض، فيكون بذلك شكله فكراً تكوينياً له غاية تحقيق الهدف بربط رؤى المسير ولحظ العقبات والتقليل من احتمالات الخطأ، فيظهر الهدف في الجواب المنطوق أو المرسوم وكأنه يصيب الهدف بدقة وتكامل ليقول عنه الجميع إنه آت من ذكاء يتمتع به شخص فاعل الهدف نطلق

عليه إنه إنسان ذكي .

قد لا أضيف كثيراً وأنا أبحث في عملية الذكاء وتعريفاته وتنميته وحضوره في التعريفات والشروحات العلمية والأدبية والفلسفية ولكنني أقول: إنه الأداء المتميز الذي يرتكز على مكونات الشخصية الطبيعية الواجب توفرها فيه ، ومنها الموهبة الفطرية والعلمية التخصصية والمعرفية المكانية والزمانية إضافة إلى تنمية الطلاقة والمرونة بحفاظها على الأصالة ونمو الوثوقية التي تقدم لمعايير قيمة الذكاء .

للتأكيد لا يوجد غباء طالما أن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم، وهو الوحيد الذي يمتلك عقلاً استثمارياً أي قابلاً للاستثمار فيه والبناء من خلاله واكتساب النسبة الكبرى من إمكانياته إن أردت أن تتنقل إلى مرحلة الذكاء . ومنه نستدل بأن صنع الغباء هو عامل يتعلق في الإنسان فقط ، أي أنه فعل ذاتي له علاقة بإيقاف استثمار العقل وعدم التفكير وعدم الاهتمام بتطوير الإنسان لذاته وأيضاً يعني التخلف الاجتماعي الشامل وعدم المقدرة على النهوض، ومنه أنفي نفياً قاطعاً وجود أي إنسان غبي على كوكبنا الأرضي؛ وإن وصف بعض الناس بالغباء ما هو إلا نتيجة عدم المعرفة وعدم إنجاز أمر صحيح، والإساءة إلى المنتج الجيد والتصرفات غير السوية، أي بمعنى أنها الحماقة في التصرف، ولو أراد امتلاك المعرفة من خلال

اســتثماره لعقله الذي يمتلكه حقيقة من خلال تكوينه الكامل وهو يمتلكه فعلاً لما ارتكب فعل الحماقة ولما أُطلقت عليه صفة الغباء التي يعتبرها الكثيرون ضد الذكاء .

الذكاء على نوعين لا ثالث لهما فطري جيني واصطناعي كسبي قادم مــن تخصص بظروف المصادفة وقد ثبت أن هنــاك ارتباطاً بين الذكاء والوراثــة وأن الــذكاء مورث وأنه قابل للزيادة ، ويــرى بعض العلماء أن الــذكاء مورث بنســبة ٨٠٪ ، ومنه يكون على الفطــري ضرورة امتلاك الخصائــص والأدوات وعلى التخصصي التعمق في الاختصاص كي تولد المصادفة والحاجة أم الاختـراع، أي أن تفعيل العقل وتشغيله إلى أقصى مدى كــي تحصد النتائج ويظهــر الإبداع الذي لا يمكــن أن يتأتى إلا باســتخدام العقل الحامل لجملــة الذكاء، وعليه نؤكــد أن لا غباء في الإنسان بل سكون عقلي لا يريد حامل الذكاء تحريكه، وعدم استثمار العقل يتعــب خلايا الــذكاء ويوقفها عن التجــدد إن لم يقم بالتأمل والتفكر للتحول إلى فناء الذهنية ويظهر شكل الانقياد بلا تفكير .

لا شــك أنه انضوى تحــت تعريف الــذكاء مســميات ومصطلحات استخدمت للتعبير عن النبوغ أو التفوق أو النجاح، وحققت لحامليها والمتمتعين بها شهرة وحضوراً على نطاق واسع، ومن خلال كل مصطلح يستخدم للإشــارة بدقة التعبير عن أقســام الذكاء بمعنى التفوق، فالتفوق العقلي والموهبة والعبقرية والإبداع ما هي إلا دلالات تشير

إلى الذكاء مع دقة شـــروحاتنا عنهـــا وامتلاك العقل لملكات عدة وكل ملكة تقوم بنشـــاط عقلي معين تســـتطيع أن تبدع من خلالها لتولد تفوقاً مستحدثاً يخضع لمجالات الذكاء، وبالعودة للعمر العقلي الدال على مستوى الذكاء والذي يُعرف من خلال الاختبارات التي نجريها لنحدد مســـتواه إن كان متدنياً أو متوســـطاً أو طبيعياً أو خارقاً هذه الدرجات ، وحكمنـــا عليها نقارن بين قوته والقـــوة العقلية المتمتعة بتوافقها مع العمر الزمني، ومما أسس عليه علماء القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشـــرين الذين تخصصـــوا في بحوث الذكاء أوجدوا قواعد علمية لقياســـه ، والحصول علـــى حاصل الذكاء من خلال أن نسبة الذكاء تساوي العمر العقلي على العمر الزمني مضروباً بمائة ، ولا يكون ذلك إلا من خلال اختبارات نجريها على الإنسان كي نعرف مســـتوى ذكائه تعرف باختبارات IQ وبكوننا ندخل عليه فإننا نؤكد علـــى ضرورة تأمين الذكاء في مجتمعاتنا وضـــرورة إجراء الاختبارات المبكرة لأبنائنا ولكل الشرائح المجتمعية، حيث به نستطيع أن نحدد موقعنا وأين موقعنا نحن كمرتبة بين الأمم وحاجتنا إلى رفع السوية من أجل تحقيق عملية التطور ومتابعتها .

لذلـــك أدخـــل على الذكاء متجهـــاً إلى تحديد أقســـامه داعياً إلى التخصص النوعي كي ننشـــئ مجتمعاً فعالاً، فـــإذا عرفنا أنه يجري اليوم التخصص في الذكاء اللغوي من أجل الوصول إليه، وهو القدرة

علـى التعبير اللغـوي واسـتعمال الكلمـات ، ذكاء يمتلكه الخطباء المتكلمون ويطورونه بالمران، فالعقل له علاقة باللغة بدليل المسـاحة المخصصة للغة في العقل ، إن مرضتْ أثَّرت في قدرة الشخص الكلامية، والتخصص الثاني الذكاء المنطقي الذي يمتلك آلية الرياضيات، وهو أكثر أنواع الذكاء شـيوعاً ونقر به جميعاً فهو الذي يمكِّن الأشخاص باسـتعمال أدوات التفكـير المعروفة مثـل الاسـتنتاج والتقييم وبه يستطيع المرء إيجاد الحلول للمسائل التي يعتمد حلها على البرهان العلمي وقوة المنطق من التفكير الصحيح ، أما الذكاء الجسـدي فهو القدرة على التحكم بنشاط الجسـم وحركاته ليمتلك منه الإنسان القدرة على التحكم بجسمه ورشاقته وتوازنه وتناسقه، وعلاقة هذه المهارة بالمخ واضحة ، فإصابة أحد نصفي المخ يؤدي إلى العجز الجزئي أو الكلـي. أتابع مع تخصصات الذكاء لأدخل على الذكاء الاجتماعي الذي يكون شكله وفعله هو امتلاك القدرة على التواصل مع الآخرين، إن هذا النوع من الذكاء يظهر في العلاقات المتبادلة بين الناس أي فهم الآخرين والتعامل معهم على أسـاس فهمه، وحامله شخصية قيادية قادرة على تنمية العلاقات وإنشائها والمحافظة عليها وتطويرها وحل الخلافـات، مع الذكاء نصل إلى الذكاء العاطفي وبه يدرك الإنسـان نفسه ومشاعره وعواطفه تجاه الآخرين، فإدارة المشاعر والتحكم بها وتوجيهها كفعل إنسـاني مهم أمام التحكم بالنزوات والانفعالات ، أما

الذكاء الفراغي فهو قدرة الشــخص على ملاحظة الأشكال بسرعة وثقــة، والقدرة على تخيلها وتخيل الأشــياء قبــل إنجازها، ومثالنا فيــه النحات الذي يــرى تمثاله في الصخــرة قبل أن ينظــر إليها، وهناك الذكاء السياسي والاقتصادي والروحي لنتأمل في تخصصاته ولنتفهم معانيها .

إذاً، أين نقف من الذكاء وهل نســير بمواكبته ومنه؟ وهكذا نجد أن علينا وضع أســئلة وفي كل المجالات والتخصصات، ونأخذ الإجابات كي نحللها ومن كامل الفئات العمرية التي تمثل تتابع الأجيال: عشر ســنين - عشر ســنين ، أي بمعنى عشرة عشــرين ثلاثين أربعين التي تعتبر في مجموعها فترات التكوين الحقيقي وســني التلقي والتقبل والإنتاج والاكتمال العقلي ، ووضِعنا لسلم لهذه الأسئلة وتداخلها مع بعضها وتحليل الإجابات ودراستها لكل عمر، وقياس مستوى التدفق العلمي للمتلقي وملاحظة مستويات الثقافة التي نتمتع بها والتأمل في انجازاتنــا الحضاريــة، والاطــلاع على مــدى تشــاركنا مع الآخر وقبولنا له يعطينا مؤشــرات عن مســتوى الذكاء ويحــدد لنا العمر العقلي، ومنه نأخذ قانــون العلماء الذي بُحث فيه في بدايات القرن الماضي وأوجدوه من أجل اســتخلاص النخب الــتي يقع على عاتقها قيــادة مجتمعاتها وإظهار صورتها الفاعلــة والمنجبة والمولدة للذكاء، ولقيــاس ذكاء المجتمعات وُجد القانون الذي نعمل عليه فنحصل من

خلاله على مستوى الذكاء الفردي، وفي المجموع يكون المجتمع ذكياً أو متوسطاً أو متدنياً وشكله $\frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}}$ × ١٠٠ = نسبة الذكاء الذي يتمتع به الفرد فإذا حصل فرد على علامة ٨٠ من ١٠٠عبر أسئلة من سن ١٠ إلى سن ٣٠ وكان عمره الزمني الحقيقي ٢٠ سنة أي أن عمره العقلي بالنسبة والتناسب ٢٨ سنة . فإذا قمنا بقسمته على عمره الزمني كانت نسبته ١,٤ × ١٠٠ = ١٤٠ وحسب رائز الذكاء وهو المقياس الذي أوجده العالم الفرنسي (أوليفر بينيه) ومساعده الدكتور سيمون واُعتمد بعد تعديله في عام ١٩٠٨ وتُرجم إلى عدة لغات يكون ذاك الفرد ذا ذكاء خارق إذ قُدرت درجات الذكاء على السلم القياسي على الشكل التالي :

- الشخص الذي تكون نسبته فوق ١٤٠ يدخل في مجال العبقرية (الذكاء الخارق) .
- الشخص الذي تكون نسبة ذكائه من ١٢٠ - ١٤٠ يعد ذكياً جداً.
- الشخص الذي تكون نسبة ذكائه من ١١٠ - ١٢٠ يعد فوق المتوسط.
- الشخص الذي تكون نسبة ذكائه من ٩٠ - ١١٠ يعد متوسط الذكاء.
- الشخص الذي تكون نسبة ذكائه من ٧٠ - ٨٠ يعد ضعيف الذكاء.
- الشخص الذي تكون نسبة ذكائه أقل من ٧٠ يعد لا يستثمر

عقله أبداً (غير قادر على الاستيعاب) .

إن ما استعرته من نتاج العلماء في هذا التحليل لرائز الذكاء والذي ينبغي علينا جميعاً أن نعمل عليه، وإن إعادة تقديمي له وشرحي لمفرداته ومعانيه ما هو إلا من باب تحريض مجتمعنا على متابعة النهوض وتسريع عملية حفاظنا على موروثنا التاريخي وتطويره ومن أجل مبدعينا وعباقرتنا ومفكرينا الذين سبقونا، فلا يعيبنا أن نعرف أين نحن بل يعيبنا ألاّ نعرف أين نحن، وإن إجراء الاختبارات الدائمة بمعرفة مستويات الذكاء هو ضرورة حتمية من أجل قياس ذكاء المجتمعات .

لا يولد الذكاء ويُتوارث إلا ضمن مجتمع يمتلك الحزم في الحب وعلم الألفة، ولا ينجح ويظهر وينمو إلا عند الساعي للتطور من خلال التأمل والحاجة لفهم ما يتأمل به فهو موجود مرتبط بالهمة والحركة والتعلم وتبادل المعرفة مع الآخر باحترام ، إنه الحب بالتبادل وهو أهم وسائل الذكاء الذي لا تظهر نتائجه وتتجسد إلا عبر العلاقات الثنائية التي تحدث الإنجاب وتقيمه ، ومنه أقول: إن اتحاد الإنسان مع الروح، والإنسان والمادة، والإنسان والإنسان، والإنسان مع الطبيعة ينجب مجتمعاً فيه الكثير من عناصر التطور بكون أي علاقة ثنائية تعطي قادماً جديداً قابلاً للدراسة والتحليل ومن ثم العمل به .

وبما أن الذكاء يختص به الإنسان ويتمتع به ليعود ويكتشفه في ذاته وفي الإنسان الآخر الذي يشبهه ومن ثم يطلق على نفسه والآخرين بأنه ذكي وأذكياء، وأيضاً يطلق على الحيوان بأنه ذكي ويتمتع بالذكاء عندما يحسن التصرف والاستجابة وكذلك النبات أيضاً، فمنه نقرر أنه حاجة ضرورية وغاية وجود الإنسان وبدونه لم يستطع ولن يستطيع قيادة الحياة فهو إنسان عقلي بامتياز، وعلى الرغم من أنه وكما حلل العلماء وجود الذكاء على درجات وتفاوته بين شخص وآخر لا يعني الغباء، بل يعني عدم استخدام القدرات الكامنة لرفع مستوى الذكاء أو تفعيله، وعدم الرغبة أيضاً في استخدام القوى المتلكة التي تتجه في كثير من الأحيان إلى ملكة من ملكاته وأحياناً يراها الآخر ولا يدري بها حاملها، وفي الاعتراف والمنطق نقول: إن الذكاء ليس بالضرورة أن يكون عاماً أو شاملاً في الإنسان، فهو إما أن يكون كلياً أو جزئياً أو غير موجود وفي ذات الوقت يخضع لطبيعة الإنسان الحامل للخير والشر، ينجح في الخير فيستمر ويستمر وصداه إيجابي ، كما أنه ينجح في الشر فيحمل لغة التدمير لا استمرار له يعارضه الذكاء الخيّر بلا هوادة ولا استمرار له، ومهما بلغ من قوة يشار إليه عبر حامله بشخصية المتسلط والمستعلي والمتكبر والمتبجح لينشئ الكراهية، ويحمل اسم الذكاء المكروه، وفي الجرائم أيضاً مهما بلغ ذكاء المجرم، فلا بد من تركه لثغرة أو أثر

يكشــف جريمته ويفضــح ذكاءه مهما كان مســتوى ذكائه قادراً على الإخفاء والتخفي، مع الذكاء وتدارسنا في آلية تطويره وإذكائه ضمن الفرد والأســرة والمجتمع نسأل عن علاقته بالإنسان من حيث حاجة الإنســان إليه، فهو فيه ومنه وله وعليه ، ونسأل ونعيد الأسئلة : هل له علاقة في جملة الحياة الإنجابية أي بمعنى أدق الجنس الإنساني وتوافقه ولحظات الاجتماع بين الرجل والمرأة، وعلاقة الراحة والحب والتفاهــم والتناغــم والمزاج الراقي والروحانيــة العالية التي تنجب في لحظــات جميلة، يكون فيها الفكر في حالــة تناغم وتفاهم وراحة ينتج نتيجة إيجابية عالية مبتعدة عن التشــنج والعصبية والابتزاز والســرقة والكذب، هذه العلاقة الــتي أكدنا عليها بأنها هي الإنجاب الحقيقي لمقاييس الحياة ولإنســانها الراقــي ،يجب أن تكون علاقات ســوية وصحيحة كي تكتب لها الحياة فتكتب في الحياة حياة، كما أن وجود فهم واع لمســتلزماتها ومكوناتهــا ونواظمها يحول الفاعلين فيها والمتفاعلــين معها إلى منجبين منتجين مســؤولين منها وعليها، لذلك أدعــو لتوفير المناخات الطيبة والفكر التحريضي والشــعور بضرورة إنتاج شيء ما يفيد الإنسانية عبر سلسلة ضخ المعلومات والعمل على تحليلها والتفكر بها.

إن الترغيــب أهم مولد من مولدات الــذكاء، وتوفيرعناصره يعني انفتاح العقل بإقباله على الحياة بقوة ورغبة العيش فيها، فالإطراء

والمديح والدغدغة والتشـجيع مع إيضاح نقاط الخلل بالحب توصل إلى رفع مسـتوى الضعيف إلى متوسط والمتوسـط إلى جيد والجيد إلى ممتاز، بمعنى أن شـرح وإيضاح أين يقف الإنسـان بمحبة يشعره بالخجـل من عقله إن كان ضعيفاً ولم يسـتطع إعطـاء النتائج، فإن حدث التحفيز وأوجدت له الوسائل حدث في اللاشعور شعور النقص ليعمل على تعديله ذاتيـاً بكونه أدرك أنه حامل للعقل الذي يتوفر فيـه الـذكاء ،هنا نتوقف ونزيـد على أن درجـات «ضعيف» أي أنه لم يحرك ذهنه ولم يسـتفد مـن المعلومة التي قدمـت إليه ليعيد إنتاجها وأن وسـط تعني نصف الإجابة وجيـد هي مرحلة وأن جيد جداً تسـتحق الثناء وأن أعلى من ذلك يعني التفوق كل التفوق وهي نفس سلم نسب الذكاء الموجودة على مقياسه وقانونه .

هي دعوة لإجراء الاختبارات ولنبدأ بأنفسـنا وليس خجلاً أو عيباً أن نقـوم به ونجربه على أبنائنـا وطلابنا والعاملـين معنا وأن نعلن النتائـج بكل صراحـة وقوة وجرأة لنعرف من خلالـه أين نحن وأين نقف وماذا نريد، إن أردنا الانتقال من وسـط المجتمعات إلى جيّدها، وتحقيـق الحضور يتطلب اسـتخدام كامـل طاقة عقلنـا ففيه كل الإنجاب العلمي والاجتماعـي والاقتصادي ، أي أن به جملة الذكاء مـن الضعيف إلى الخارقة المبهرة ، إنـه الذكاء ،هو معنا موجود بين خلايا عقلنا لنستثمره .

الإقناع

يبتعد كثيراً عن القناعة ويختلف عنها في كل شيء ، فالقناعة علاقة ذاتية تتعلق بالتكوين الحيوي للإنسان بينما الإقناع يأتي من نتاج عمليات فكرية غايتها التأثير في الآخر وإخضاع الفكرة أو الرأي لفكر المقنع، وغايته التأثيرعلى المراد إقناعه ، إما بتغيير اتجاهه وميوله وسلوكياته وإما لتصحيح فكرة خاطئة لدى الآخر، ولا يتم التغيير والتأثير الكلي أو الجزئي إلا إذا كانت تمتلك الحقائق ممهورة بأدلة واضحة وسليمة وعاقلة ، كما أنه يختلف عن الجدل والاستعداء للآخر والتحدي والمجموع ، فالإقناع يتعلق في شخص المقنع من حيث تمتعه بالألفاظ والإشارات وسلامة الحديث ، أي جمالية المنطق والقوة العاقلة التي يمكن أن تستخدم عند محاولة انتهاك حرمات الإقناع ، وعليه يكون للإقناع عناصر يجب أن تتوفر في المقنع ومنها: الثقة والمصداقية والجاذبية التي تتكون من ثلاثية الشخص (الأخلاق والأناقة والثقافة) والقدرة على استيعاب الآخر والمستوى العلمي المتبادل ، وأن يكون لدى المقنع رسالة غايتها الإقناع فمن هنا نتابع ونقول : إن الإقناع نوع من أنواع المهارات التي يتمتع بها الإنسان وشخصية حوارية وقدرة على الاتصال والتواصل ، كما أنه نوع من أنواع البرمجة الفكرية التي تؤثر في العقل عبر الأدلة

والحجج ليكون في مجمله نوعاً من أنواع الاتصال الإنساني فيه الترغيب والترهيب ،ولذلك يبنى على حدين أحدهما إيجابي ومثال ذلك : تصحيح نظريات علمية والبراهين والنتائج ،وبناء الأخلاق والعلاقات الروحية وعلاقات الحب الحقيقي ، والانتماء إلى الأسرة والمجتمع والوطن ، والآخر سلبي ويتضمن كل الاتجاهات السالبة في المجتمعات والانحرافات والإصرار عليها . كما أن المقنع السالب مرفوض إن كان متعدياً على حقوق الغير أو معتدياً ، ويستخدم معه الإقناع بقوة القانون أو بقوة المادة المنضبطة والمنصوص عنها في الشرائع والنصوص التاريخية .

من هنا ، نحن مقتنعون بأن الإقناع علاقة إنسانية تحمل مضامين إيجابية غايتها التطوير المتبادل في الفكر الإنساني من خلال التفهم والفهم المشترك ، والقبول والتقبل بين أطراف الحوار، والانسجام مع الآخرين يعني نجاح عملية الإقناع التي تتسرع بامتلاكها للسهولة والإمتاع والفعالية ، مع الابتسامة الحقيقية عند امتلاك المعلومة الدقيقة لا الساخرة منها . وبعد هذا كله ماذا نريد من هذا المفهوم هل علينا أن نقتنع بما حدثنا به؟ أم غايتنا الإقناع بشرحنا له بالتأكيد ضرورة فهمه حتمية ، ولكن غايتها هي هل نحن مقتنعون بما نحن فيه وعليه ومن الذي يقنعنا أو أقنعنا بما نحن فيه وعليه وهل قبلنا إقناعه أم أن لنا رأياً علينا أن نقنعه فيه ومنه أيضاً نسأل

هل نحــن مقتنعون قانعون ؟ أم لنا رأي نســتطيع تطويره والارتقاء إلى مستوى المقنع فنتبادل معه الإقناع بأننا أيضاً نمتلك قيم الإقناع بكوننــا نمتلك حقائــق علمية وثقافية وحضاريــة وروحية دامغة لا شك فيها ممتلئة باليقين نضعها بين أيدي من يحاول أن يقنعنا بعدم المقدرة على التطور، وأننا حقيقــة متطورون لكننا في مرحلة الثبات ويجــب أن لا نبقــى كذلك بل من الضروري أن نتقــدم إلى الأمام وأن نأخذ زمام المبادرة في الإقناع بعد أن نمتلك صفات المقنع .

الإقناع موهبة علمية تهم أي عملية تطويرية يتمتع بها الأشخاص الماهرون ،وهي جزء من مفهوم التقدم العلمي والتقدم الشخصي الذي يحمل صورة إنسان نشــأ من أسرة ، واحتواه مجتمعه ومنحته الدولة هوية ليدافع عنها وعن مجتمعه وأســرته وذاتــه من علميته وفهمه لعلمه والاجتهاد عليه ودون الشعور بالحرج أمام الآخرين وعدم إحراج المتحاورين معهم أو إهانتهم ، وأن يدع دائماً مخارج لطيفة ضمن دائرة إقناعه كي يعترف الطرف الآخر به وفرصة يحاور بها نفسه .

التربية

تعديــل أو إضافــة أو تهذيب للمــوروث التاريخي المتكــون أصلاً في المجتمعات والتي شــبت عليه والمنتشر في الأســر والأفراد المكونة لها

فإذا شاهدنا صورتها عرفنا درجة تقدمها أو تأخرها أو قوة حضارتها، وبما أنها مفهوم حداثي اختبأ خلفها كل الموروث الثقافي، وغدت في حد ذاتها ضرورة اجتماعية تنجز قانون التطور والتقدم وفي ذات الوقت تعطى للإنسان ليكتسبها ومن خلالها يجد طريقه الذي يسير عليه مزودة إياه بالقيم والسلوك محللة له الاتجاهات والمعلومات ومناحي ميوله ومواهبه التي تعمل على تهذيبه.

وبما أنها مفهوم حديث أخذت به غالبية المجتمعات حمل غاية فرض التشابه من حيث السعي إليه، ومن أجل الوصول إلى الصورة الإنسانية الواحدة التي تبدأ من الفرد وتنمو في الأسرة المكونة للمجتمع، وبها يكون شكل الأمة، لذلك يسعى الجميع وراءها من أجل تكوين أفراد جيدين وأبناء صالحين ومجتمع تسوده الأخلاق والمبادئ والقيم، وبكونها تتمتع بالشخصية الفردية وتكوينها يعود على الناتج العام وينعكس عليه، تظهر المسؤولية ضمن آلية التربية الكبيرة مما تحمله في طياتها من عناصر ربط وزيادة النشاط العقلي بالمهارات البدنية والتوافق مع بعضها وصهرها ودمجها وتقديمها في الشكل النهائي صورة إنسانية حاملة لمبادئ الحياة قادرة على قيادتها محولة الإنسان إلى مربي يحمل الجلال والاحترام بكونه مربَّى، تربية إيجابية.

إن مفهوم التربية وضرورة الحاجة إلى فهمه يعني لنا أن التربية

ليســت حالة آنية وإنما هي قاعدة وأســاس تبنى عليها ومنها الحياة، وبالقدر الــذي تكون فيه مفهومة وواقعية تظهر الصور حاملة للحب وقادرة على استيعاب التنمية الفكرية من أجل إحداث التطور بكون الإنسان هو الأساس يمتلك القدرة على السيطرة على كامل الموجودات وحصرها والاستفادة منها وتربيتها (النبات والحيوان) من أجل معاشه ومعيشته، فالأولى أن يبدأ بتربية نفسه ومن ثم محيطه فإذا امتلك تربيــة حقيقيــة إيجابية أجــاد تنمية قدراته بحضــوره التربوي، فيكون بذلك إنساناً خلاقاً خلوقاً له ميزات التطور والتقدم.

ولماذا نقول إن التربية لها علاقة بالتنمية والتطور ولماذا هي حاجة رئيســة يجب أن تدخل على الطبع الإنســاني لتهذبه وتبعد الشــر والتخلف عنه ولماذا نؤســس عليها ونطالب بها وبانتشــارها؟ إننا من هنا نقول ونطالب بضرورة اســتيعابها من أجــل الوعي وزيادة الوعي الــذي يؤدي إلى وعي القدرات، وبها نتجه إلى توظيف هذه القدرات واستثمارها بشــكل صحيح وطرق علمية، هذا يؤدي إلى فهم عملية التنميــة من خلال فهم مفهوم التربية الــذي يعنينا به نقل المعارف والمهــارات والقيم من الفرد المربِّي إلى المتلقين الذين نريد لهم عملية تربوية جيدة ومتابعة إيقاعاتها لامتلاك الإيجابيات التي تســهم في تحسين الصورة الاجتماعية، إذاً، التربية وسيلة تعلم من أجل العيش والتعايش مع الآخرين، هذا يعني أن تبادل الخبرات لاكتشاف الصح

وفهم التاريخ الاجتماعي لحذف السيئ وإيجاد المشترك مع الآخر الذي لا يمكن العيش لنا بدونه، فمما تربَّى الآخر عليه وبتبادله معنا نكتسب ونطور التقاليد والعادات الجيدة كي تنشأ عملية استيعاب العلم، فيحدث التطور من خلال التربية بالتبادل وتأكيدنا على أنها منظومة تنظيمية لسلوك وتصرفات الأفراد والمجتمعات يدعونا لتوفير إستراتيجية دائمة تتوارثها الأجيال، وتضيف إليها كل ما يستجد من جديد إيجابي وتساعدهم على اجتياز العقبات من الحاضر الذي يعيشه الجيل مورثاً إياه إلى الجيل القادم الذي يسقط السلبي والمتعارض مع موجبات الحياة التي تتطور، وتدعو الإنسان إليها ولا تقبله فيها إلا إذا كان متطوراً مربَّى فهو عاداتها الجيدة وعدتها وهي التعهد من الإنسان للحياة بأن يكون قادراً على حمايتها وتنميتها فهي رسالة من الحياة إلى الإنسان يربِّي أخيه الإنسان منذ ولادته ليغدو مربياً بالتتابع ضمن تربية علمية ذات سلوكيات راقية من أجل حياة أجيالنا والأجيال القادمة.

التخيير والتسيير

متلازمتان لا انفصال لهما وبدقة أكبر هما متداخلان بحيث أنهما يظهران في شكل وحدة لا انفصال لها عند امتلاك إرادة التميز، كما

أنهما جملــة حياتية ذات علاقــة بالعالمين العلوي والســفلي والمادي والروحي والجنوب والشمال واليمين واليسار والحياة والممات والوجود والانتقال ، ونحن في عجلة مــن أمرنا ندخل عليهما من ثقب صغير، غايتنــا بث النور فيه ليظهر من الطرف الآخر كمخروط نور نقطته ثقب الحياة وانتشاره يملأ الكون .

من هنا ننطلق : لأســألك ذلك الســؤال الأزلي الإيماني التفكيري البديهي والعلمي العاقل وغير العاقل ، غايتي إنشاء حوار عقل مادي ولا مــادي بين فصي العقل بكون العقل (المخ) وحدةً كاملةً ومنفصلةً عــبر خط الزمن فإذا تأملت شــكله تجد به خطاً فاصلاً يشــرح لك علمياً وبصرياً ما أريد قوله .

هكــذا ومن هنا أســألك هل أنت مخيَّر أم مســيَّر ؟ ومــاذا يعني لك التخيير والتســيير، وما هو الفرق بين الآدمــي والحيواني والنباتي والجمــادي وأي علاقة هذه التي نخضع لهــا جميعنا ؟ والتي تحمل اســم الروح والمادة والروح بالعقل ، والرابطة بين العقل والقلب والقلب والحب (العواطف) والعقل والعلم ، والتعلم والإدراك الذي يولِّد في الإنســان الإرادة في الخيار والاختيــار، وما علاقة الإدراك بالتخيير والتســيير ، وماذا تعني لك الكلمات الكريمة (نحن نرزقكم وإياهم) (وفي الســماء رزقكم ومــا توعدون) والأمثال الشــعبية التي تقول (تجــري جري الوحــوش غير رزقك ما بتحــوش) (والرزق مكتوب

والعمر محســوب) هل هي كلمات جمعت بين المقدس والمتداول لتكون أدوات تســيير، أم أنها تخضع لنظام فكــري متكامل يدعوك للتفكر، وأنك إنســان عقلي غاية وجــود العقل لديك هو محاكمة ليس ذاتك فقط ، بل الحياة من خلال التعرف عليها وفهمها وعقلها ، أي : لجمها لتســخِّرها لخدمتك ، هذا إذا أيقنت أنك مخير وكذلك البحث فيها لتصــل لمعرفة من أنت ، وكيف أنت وتعلم بدقـــة علم معنى أنك جرم صغــير وفيك انضوى العــالم الأكبر، وأيضاً معنى الكلمات المقدســة المتوضعة على سطور في صفحات الكتاب الكريم (إن في خلق السموات والأرض واختــلاف الليل والنهار لآيات لقــوم يتفكرون) فماذا تعني لــك ولي وله ولها هذه الكلمات التي خصت المخلوق الإنســاني بذات عينه فأين نحن منها ؟ وأيضاً، مسألتا الولادة والموت والمسافة بينهما وقضية العمر الفني للإنســان وأيضاً قضيــة الروح وبقاؤها خلوداً في المحيــط والانحصــار في البد الــذي لا بد منه ، فمــن كل هذا ندعو بعضنا لأن نعيش المحاكمة العقلية بغاية بحثنا هذا ، وسؤالنا الكبير الذي ينضوي تحته الجميع ، أليست كل المخلوقات الحية جمعاً ذرياً أي بمعنــى أدق : ذري حــي منــه الواعي وذري حي غــير واعٍ ، حيث إننــا ننطلق من هنا إلى معنى الوعي وعدمه ، لننقاد لطريقة شــرح وإيضاح معنى التخيير والتسيير وفهم آلية الرابطة العضوية بينهما ومتــى ينفصــلان وأين هما مجتمعــان ؟ بكون توفــر الوعي يعطينا

معرفة الاختيار بين السالب والموجب والبارد والحار فنتأكد أن الوعي مرتبط بالحيـاة وخدماتها المتبادلة بين الأحيـاء والجماد والنبات ، هذا الارتباط الذي نتحدث عنه يختص به الوعي التفكري الذي هو جملة الحياة الواعية ينفرد به الإنسان الذي نطلق عليه أنه العمودي الوحيد على وجه البسيطة ليكون إنساناً حياً واعياً ومتفكراً ومفكراً ومختاراً مستثنىً عن باقي الموجودات ليقودها ،ولديه من كل هذا كل القوى الجامعة التي تؤهله للاختيار، وهذا يؤكد أن الإنسـان بكونه عمودياً يعني أنه الراعي الذي يقع عليه واجب رعاية كل الموجودات ابتداءً من شخصه كإنسان وأسـرته التي يختارها وانتهاءً بمجتمعه الذي يحتوي كل الأشياء بعكس الحيوان الحي الواعي المسيَّر بنظام الإحسـاس والغرائز والاتقاء ، فنراه أفقي الحركة والشـكل مهيأً في كل حالته للانقياد ، فإذا ابتعد عنه الإنسـان وتركه يشـرد ، ظهرت كل أنـواع غرائزه بغاية العيش ضمن صورة الغاب وشـرائعها الخاصة بها ، أما الجماد فأيضاً هو مجموع ذري حي غير واعٍ، مثلاً الأخشـاب والمعـادن والأحجار ، فالحديد يغرق في الماء وينجذب إلى المغناطيس والخشـب ينجذب إلى النار ويحب بغرائزه الاحتراق والحجر يتقبل التشذيب والبنيان .

بالطبـع كل هـذا من أجـل تصور وفهـم المدخل لعملية التسـيير والتخيير، والفصل بينهما وإعادة فهم التداخل بينهما ، بغاية إظهار

مــن يخدم من ومن ينضــوي تحت لواء من ؟غايتنا اســتيعاب حجم العلاقة الكونية بين المطلق والمطلوب وبين الكُلي والنســبي وبين النهر والبحر وبين البحر والمحيط ، ونعلم من يقود من وماهية العلاقة بين السماء والأرض وهل الإنسان بينهما هو وحده الجامع اللامع والرابط الممسك بكل خيوط الحياة ؟.

لقــد أحارت الإجابــة الكثيرين ماديين ووجوديــين ومؤمنين ، وكل اجتهد وتحدث وأوَّل وبحث وقدم رؤية علَّه يجد جواباً شــافياً يشفي عطش المنتظرين لهذه الإجابة ، ونحن منهم وأثناء بحثنا واجتهادنا بغاية تقريب وجهتي نظر العينين لتلتقيا في نقطة، والأذنين تستمعان فتتوحــدان في العقــل ، والكل يجتمع ويجمع عبر حواســه ومنافذه الوجهية والجانبية والمحيطة ، ويقول : إن الإنســان مسيَّر ومخيَّر في آن وبكــون (الآن) لغة عقلية تكوّن صيغــة أمر الإحضار كي تحدث الموافقــة ومن ثــم نصل جميعنــا إلى الاتفاق ، أؤكد أننــا عقلانيون فإذا اســتثمر العقل وهو أيضاً له اتجاهان : الخير والشــر ، وإذا كان استثماره في مجال الخير ونجح وسار إلى الأمام وإلى الأعلى فيقول: إنني مســيَّر ومخيَّر بدليل إيمانه بأنه تعب وأنجز وأرفق هذا النجاح والإنجاز والتعب بالحمد والشكر، أما إذا فشل استسلم وتراجع واتهم وأوهم وحمَّل كل ما حصل معه على التســيير وخاطب الآخرين عند ســؤاله بأنني مسيَّر مبعداً حقيقة التخيير وينفي عقله الكائن فيه

ليتحول إلى أداة ناطقة غير فاعلة إلا بالإرادة الكونية التي يتجلى فيها المطلق الكلي جاحداً إيمانه متمسكاً بوسواسه الذي يأخذ به إلى حالة التبعية .

إنني أقول وأؤكد : إننا مخيرون بكوننا نمتلك عقلاً والتسيير جزء من الخيار العقلي والذي تكون صورته حالة الايمان أي بمعنى أن التسيير هو تيسير قدرة التخيير عند حمل الضياء ومنه ننطلق متحدثين : إن الإنسان كائن كوني بيده زمام الحركة والسكون والهمة والخمول والنجاح والفشل والتقدم والرجوع ، فمن هذا وعليه نقول: إن كل شيء يكمن في العقل الإنساني حيث به تتجول قدرات العلم والجهل والمعرفة وعدمها والغباء والذكاء وآليات الاستثمار التي تتوفر كمكتبة عالمية تمتلك كل أنواع المعارف والعلوم ، والإنسان فيه وبه كل كوني ونسبة بكونه (نسبي) وله الاختيار يختار ما يريد أن يسير عليه فيكون المخيَّر والمسيَّر في آن (وجمال آن) تكمن فيه كل الأشياء التي نتطرق إليها يعني جمال الحقيقة التي ينبغي أن يبحث عنها ليختار ، الخطورة بأن لا نحسن التوجه والبحث والاختيار، فمنه وعليه يجب أن نتعلم ونعلم لنتمكن من امتلاك إمكانية فرز الأشياء ومعرفة مانريده وهنا يكمن الاختيار أي : المقدرة على الفعل وهي الحالة الأولى للاختيار ضمن مسار التخيير فالمقدرة على اتخاذ قرار والسير فيه والنابع من آلية تفكر عقلي ممتلك لفهم علمي يعني

أنك اخترت بعد أن تفكرت وعلمت، فبإمكانك العمل الذي رسمته في عقلك واتجهت به إلى عملك لتنفذه فتكون بذلك مسيراً من الفكر العقلي الذي فرز الفكر في التخيير وسيَّرك لتعمل به .

أيها الإنسان أنت الامتياز بكونك جامع الأضداد والمتناقضات فيك الكثرة وخيرك ندرة ، اعمل كثيراً وابن ذاتك فبعد أن بُنيت عليك أن تبني، وهذا سر من أسرار الاختيار وإلا ستبقى مسيراً فاختر عملك واحرص على أن يكون إنجازك جيداً كي تظهر مخيراً، وأن لا تنسب فشلك وتجيّره على التسيير وأنت تعلم أن وجود العقل فيك ميزة كي تختلف عن كل الموجودات الحية الواعية ، ومعنى وجوده فيك أنك مخيَّر على الرغم من أنني أنتبه إلى أنك في العقد الأول والثاني مسيَّر إلى حد ما ، أما باقي العقود فأين أنت منها ؟ وعند النهايات هناك من ينتظرها معتقداً بالتسيير إلا إذا أنهى أعماله في اعتقاده وجلس على قارعة الطريق ينتظر، وهناك من يتناساها ويؤكد على أنه فاعل ومنفعل طالما أنه ممتلك للطاقة والروح والعقل فيكون بذلك عطاءً مستمراً فيه خيار الاستمرار في العقل الواعي ، وإذا اعتمدت في الفطرة ومرحلة اللاوعي على الآخرين أمثال أمك وأبيك ومجتمعك، ففي العقود اللاحقة تفكر أنك تعتمد على عقلك، نتحاور معك ونتشاور علّنا نصيب من كبد الحقيقة مكسباً ومفازاً نلتقي به وحوله لنجمع ونقول : اعلم أولاً كي تعلم فإذا علمت

اخـــترت وتخيرت وكان لك الخيار في نوع العمل وما تريد أن تعمل به ولـــه ، أما إن عملت بدون علم فأنت مُقاد ومنقاد أي بمعنى أنك أداة ، ومعنـــى أن تكون أداة أنك مســيَّر في رحلة الذهاب والإياب ، وأنا أقول إليك أنت أيها الإنسان واسأل الآن : هل تعلم قبل أن تعمل فيكون لك الاختيار، أم أنك تعمل بأمر فتكون مسيَّراً ومختاراً لتسير ضمن إرادة الآخر المخيَّر ؟.

إذاً ، إرادة التســيير والاقتناع به تنحصر ضمن شــخصية البداية والنهاية ، ويعني لنا ذلك أنها تخالف التطور، وإذا تابعنا هذه الحركة نجدها غير منجبة ولا إنتاج فيها بل نلحظ صورة الانتظار والترقب وقناعة المسيَّر بأنه منتهٍ إلى زوال ولا حاجة لتحريك المياه الراكدة ، بينما التخيير هو الحراك العقلي الذي ينجب الحراك الاجتماعي من خلال عملية التبادل التي تولد التطور ونظام الحياة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

وبمــا أننا نتتابع خلف بعضنا بغاية الوصول إلى موضوع التســيير الــذي هو جزء مــن قصدنا ، فإنني أراه حقيقة هو التيســير ويعني لنا هــذا ضرورة فهم وإيضاح معناه الذي يتجلــى في ظاهره على أنه انقياد وفي جوهره الإيمان الفطري الذي نشــأنا عليه بكونه يحيطنا ويرسم لنا المسار الإيماني الحقيقي ؛ إلى أن يحدث الوعي الاختياري وينجــز عملية قطع الشــك باليقــين وضرورة فهم عملية التســيير

بكونهـا تحمل في طياتها نظـم الفطرة الحياتية كالرضى الأسـروي والرضى الاجتماعي الذي يشكل دافعة لآلية التفكير الحاملة لفكر التخيير، وهنا تندمج عملية التسيير في التخيير، فإذا كان هنا أحد مـا اختار لنا ما نحـن عليه كما اختير لهم ممن سـبقهم فنقول: إن الفطري المسـيَّر يتجه بالتطور العلمـي إلى العقلي المخيَّر كأن يكون الخيار في الاختيار ما بين العلوي والسـفلي والمادي واللامادي والشك واليقين والخير والشـر، وفي المجموع ندرك ونعلـم عند توفر ظروف هاتـين العمليتـين أين نحن وننطلـق بعدها من نقطـة التوقف إلى الأمام، فنعلم أننا نسير باختيارنا فأينما سلكنا هو خيارنا وهنا يظهر الحـد العقلي الفاصل بين التسـيير والتخيير على أنه حالة اندماج وتوحد البصر والبصيرة ، نرى أنفسـنا نتحرك فـإن بقينا في المكان فيعني هذا لنا أننا مسيرون ننتظر الأمر لنسير، أما إن سرنا وعرفنا الاتجـاه الموجود بين الاتجاهات واخترنـا الصحيح منها نعلم بعقلنا أننا مخيَّرون .

ندخل متابعين هذه المسـألة أي مسألة التخيير والتسيير ونقول : إن التسـيير هو الإيمان بالشيء والتخيير هو العلم به فمنه وعليه نبحث في هذه المتلازمة التي قلنا عنها في سياق استرسالنا الحواري : إن التسيير هو أداة التيسير في التخيير وإنه ليعني لنا الكثير إدراك فهم هـذه العملية العلمية الإيمانية والـتي ترتبط بحدوث الصفاء

والنية الحسنة ، فإذا توفرت هاتان الصفتان انجلت الأمور واتضحت سبل اختيار المسالك أي: توفر القرار الصح للاختيار ويكون القرار مخيراً ويحدث الخلاص القادم من بناءٍ أساسه الإخلاص، وبمعنى أدق: إن حصول الإيمان الحقيقي بالشيء وامتلاك العلم الحقيقي به أيضاً ينتج اتحاداً دقيقاً ينقلك إلى مراتب العلم والمعرفة ، فتحب الصح وتسعى للوصول إليه بالإيمان العلمي، الذي إن لم يحصل تنحصر إما في دائرة الروح (دائرة التسيير المطلق) وإما في دائرة العلم (وهي دائرة المادة المطلقة) فلا تخيير مطلق ولا تسيير مطلق، لتعود وتحاكم ذاتك من إدراكك الحادث نتاج البحث بين الروح والمادة فتعلم أنك مسيَّر ومخيَّر في آن ويرتسم في أعماقك الاعتراف بأنك لا تسير مع الروح لوحدها ولا مع المادة بجمادها فأنت روح المادة والمادة شكلك فمن أيهما تهرب تجد نفسك فيه .

لقد تعرضت مسألة التخيير والتسيير عبر مسارات التطور الإنساني والنمو العقلي إلى الكثير الكثير من البحث والدراسة والتمحيص، وكان للكثيرين ممن دخلوا عليها وسجلوا أبحاثاً هي على درجة كبيرة من الأهمية ، وأخذت من أوقاتهم مساحات كبرى، ومنهم مَن شك ومنهم من أيقن ومنهم من أثبت ومنهم من أيَّد وجمهرة السلف والخلف أجمعوا وتفرقوا ، وأنا أدخل على هذه المسألة غايتي أيضاً إشعال شمعة كي أرى من خلالها مدخلاً أمر منه وعبره ، أضع

الشـمعة عند بابهـا ليدخل الآخرون ويروا هل أصبـت أم لا ، وعليه أقول: من اجتهد فأصـاب فله أجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر، أرجو أن أكون في الاجتهاد أجتهد لأصيب .

الرأي

لا رأي لمن لا يطاع، ومن يريد أن يطاع، فعليه أن يمتلك رأياً سديداً متكوناً من قدرة منطقية يجمع بها خلاصة حل قضية أو تصور وتؤثر فيها سلباً أو إيجاباً، وحصل عليها بتراكم الخبرة الحياتية ومن خلال المعرفة والثقافـة، وتتجلى فيه العلمية والواقعيـة وإطارها ليّن لا ينكسر، وحزم فيه احترام الآخرين، منه نقول: إن تكون الرأي يأتي ويظهر من نتاج التفكر والتأمل في شـيء مـا مادي أو غير ذلك أو في موضـوع معين يعبر به عن ما جمعه وفهمه باختصار، ويدل على أنه فهم غاية ما تفاعل معه واستوعبه لينطق به، والرأي من رأى الموجود بتخصـص يبدي به رأياً، وبمعنى أدق نظر إليه من عين أو من عقل، ومقومـات الرأي أن يكون من صلب الموضوع المطروح وضمن دائرته لا يخـرج عنه، ومثله مثل دائرة الهدف كلما اقتربت من مركزه أجدت وارتقيـت وحققت الحضور، ومـن اسمه رأي يعـني جواباً مختصراً يحمـل الغاية والكفاية فـإذا زاد خرج منه الـرأي وأصبح موضوعاً

يحتاج الرأي وهو على أنواع : خاص وشخصي وعام ففي الخاص منه يكـون نتاج حوار ذاتي يقبع في داخل الإنسـان يحتفظ به لنفسـه وينطـق به فقط أمام أهل الثقة، والشـخصي يطلب منه فيدلي به أمام فرد أو أفراد ويكـون في موضوع أو موقف يتطلب رأياً وقد يصل بـه إلى مرحلة الإفتاء، أما العام ففيه يشـترك مع مجموعة الآراء يلتقي معهم ويكون رأيه ضمن الآراء الجامعة تظهر بشكل رأي حول قضية تهم المجتمع والجمهور، فيكون معبراً عن مشاعرهم وأفكارهم واتجاهاتهـم، وهو أيضاً أي (الرأي العام) رأي الكثرة التي تتشـكل بـه قوة الحقيقة في المجتمع وجمهرته ويكون مكتوباً أو منطوقاً وهو علني لا إخفاء فيه ،كل إنسان لا بد أن يكون له رأي، ومنذ القديم الذي قدم منه الإنسان حمل الإنسان رأيه بكونه حاملاً للعقل وسار بـه وتارة أخفاه وكتبه على الرقم الطينية بشـكل الطلاسـم، وتارة أبداه ولنا في الأوابـد الباقية منه أنه كان صاحب رأي، كما هو الآن ولو لم يكن كذلك لما كنا مثله .

إن حديثنا حول الرأي وضرورة وجوده كمفهوم يدل إن كان إيجابياً على أن حامله شخص واع يمتلك المعرفة والحكمة والنجاح، فيأخذ به مولداً ثقة الآخر معه، بكونه أعطاه ما يناسبه، فهو يشبه النصيحة ويختلف عنها بكونه شخصية الشخص فيه الحكمة والتجربة والعلم والمعرفـة، أما النصيحة فهي آتية من تجارب الآخرين ونادراً ما تكون

عامة ، أما الرأي الصادر عن الإنســان الحقيقي فيكون شكله السلوك، وتتجلى فيه قوة الحق والعادات والتقاليد ،كما أنه يذكي الروح المعنوية لصدقه، ويوجهه نحو صلب الموضوع ليكون فيه مفيداً حقيقياً، ومنه ينشــأ الرأي الإتلافي والرأي الكامن والرأي المســتتر والرأي الصحيح والــرأي الثابت والــرأي المتغير والــرأي الكلي والــرأي المؤقت والرأي اليومي والرأي الرائد والرأي المثقف والرأي المضلل والرأي القائد، وفي زمن الحداثة هناك الرأي الإعلامي والرأي الدعائي.

وفي الحقيقة الرأي صوت الإنسان، كما أنه في الجمع صوت الجمهور الذي يكون رأي الأكثرية متكوناً من اندفاع الجماهير وحماسها تجاه قضية معينة، كما أن رأي الأقلية له وزنه، وكثيراً ما تكون له قيمته بكونــه يحمــل التدقيق في رأي الكثرة مكتشــفاً فيــه مكامن الخلل ومشيراً برأيه إلى الصح ويمتلك به قيمة حضوره .

بالتأكيد لكل إنســان في هذه الحياة حق يخصه وقضية يعيش من أجلها ومجتمع يتأطر به ويحمل سماته، ومنه وبه له رأي ينطلق من ذاتــه ويتبادله مع مجتمعه بغاية إحــداث التطور الإيجابي، ومهما يكن من رأيه إيجاباً أم ســلباً؛ فإذا كان منتميــاً ووفياً فرأيه محترم ومقدر من تقديره لوضعه ووضــع مجتمعه، أرجو أن تعبر عن رأيك وتبديه فيما قرأته وحــول ما ارتأيت في هذه الكلمات من رأي لي في الرأي، فليكن لك فيها رأي .

الخيال

إنــه الأفــكار المتوثبة والجريئــة التي تتولد في العقــل الحر، وهو أســاس أي عمليــة تطور وتقــدم أو إيمان روحي، و بــه تحدث المتعة الغامضة فيكون بها لغة مهمة من لغات الاستبصار قبل حصول الشيء وتحويلــه إلى واقــع، كما أنه لغة العثور علــى المفقود الناقص ضمن الجملــة الحياتية ليكون معيناً على البحث معها ولها، وقيمته خالدة بالرغم من وجوده في الإنسان بشكل فطري عفوي وقبل تكون العقل الإنســاني الذي لا وجود له إلا بــه، فلولا الخيال لما كانت الحضارات ولما كانت الشــرائع والأديان التي نعود إليها، ولما كان عيشــنا الحاضر متصــلاً ببعضه و به يصنع المســتقبل الذي نــروم الوصول إليه غداً وبعده أجيالنا القادمة ، فهو صورة اللامادي في المادي وحقيقة السماء تتجسد في داخل الإنسان يحكمها بنفسه ومسؤول عنها من ذاته .

لا حدود له ولا رقيب عليه، فهو ملكة عقلية لم يكن للإنسان التقدم والتطــور في حياتــه بدونها، فإذا لم تتخيل فأنــت غير موجود، وإذا أغمضــت عينيك لا بد من أن تــرى ما بداخله وبداخلك وترى الكون كله فيه، وهو الإدراك وقوى النفس البشرية يتجلى في العقل الواعي ليحدث اللمع ويرسم تداخل الأشياء عبر صور المشاهدة تتركب من بعضها وتتداخل من الحس المشــترك وتحوله إلى لا مادي يضغط في

العقل كي تعيشه وتنادي به مطالباً تحقيقه من ذاتك أو من الآخرين الذين يستمعون إليك ويقررون: إما أن يبقى في خيالك لا تحقيق له، وإما يحدث اقتناعهم يحللونه ويعملون على إنجازه معك، إنه جزء مهم من الإنسان وضروري جداً له بكونه يتجلى في كل أعمال الإنسان وفي كل إنتاجاته الإبداعية مادية أو روحية .

إنه قوة النشاط الذهني يجمع بين الوعي واللا وعي مهيئاً المناخ والمكان لظهوره وحدوثه، وكثيراً ما نجده عاملاً على مساحة الوجدان وأدواته البصر والسمع، واهتمامنا به لا يقتصر على تعريفه بل تعزيز دوره في الحياة الإنسانية الإبداعية وإظهاره على أنه وحدة مظهر وجوهر وجزء رئيس من حياة الإنسان الموضوعية ووظيفته هي الخلق، أي خلق الصورة الأولى لشكل المادة في العقل أو الأداة أو الكلمة قبل العمل بها بكونه يسكن بين الحس والعقل يتحول محركاً في داخلك الغرائز ودافعاً بك نحو العمل .

لا يمكن للإنسان العيش بدون خيال، فهو طاقة النفس القادرة على تصوير الأشياء والموجودات ومنه ينتج الصح والخطأ والسعادة والتعاسة والنعيم والجحيم، وبه تكون خيراً أو شراً، فخيره أمل وعمل وسعادة، وشره وهم وشقاء وفشل، وبه تنتعش مكونات الإنسان وتنجح اللقاءات من خلال التخيل الناجح لها، وتحتاجه في العمل والجنس والإيمان الروحي وأفعال الصلوات والتقرب من الإله ولكل شيء .

التخيل حاجة الإنسان من أجل الحياة ولأجل أخيه الإنسان، كما يحتاجها مع الحيوان والنبات والجماد، إنك تتخيل الحيوان أليفاً أو شرساً، كما تتخيل الحبة كيف ستغدو شجرة لتأكل من ثمارها، وتتخيل الصخرة التي ستبني منها منزلك وتتخيل اللقاء مع زوجتك الذي ستنجب منه ابناً تفتخر به، وأهم ما تتخيل هو أنك إنسان حقيقي ينتج لمجتمعه أسباب نهوضه وتطوره، لنطور الخيال بكل أبعاده الخيال العلمي والخيال الاجتماعي والخيال الواقعي والخيال الأدبي، ولننجب خيال الخيال فهو موجود معنا يولد فينا خيالاً نطوره ليكون خيال الخيال، فنعمل به ونتخيل ما بعده إلى أن نصل إليه.

الحلم

أبدأ من الهدف وشكله الأمر المراد تحقيقه والطريق إليه يكون بالطموح الذي يسعى لتحقيق الهدف، وشكله يتأتى من الأمنية التي قد تتحقق وقد لا تتحقق ، فلا هدف دون طموح ولا طموح دون حلم ولكل إنسان في هذه الحياة الحق في أن يحلم وأن يعيش أحلامه فهي في الاعتبار العقلي نوع من أنواع النشاط الذهني الذي يحدث داخل المخ خلال النوم ويتفاوت محتوى الحلم من أفكار وصور

مشاريع صغيرة أو كبيرة إلى قصص مطولة، قد تبدو في أحيان كثيرة صعوبة التفريق بينها وبين الحقيقة، وقد تحتاج الكثير من النشاط الجسماني، ويختلف الحلم عن الرؤيا ، والرؤية ، بحيث الحلم ما يراه الإنسان من أشياء مختلطة بين الخير والشر والجميل والقبيح، أما الرؤيا فهي التي تدل على الخير والأشياء الحسنة بالتحديد ، والرؤية هي ما يراه الإنسان بالعين المجردة كرؤية الشمس وكرؤية القمر (بدراً أو هلالاً) .

تحدث الأحلام خلال مراحل معينة تكون فيها حركة العين سريعة أثناء النوم، وإننا لا نتذكر سوى أقواها، ومن يسيطر من الأحلام هو حلم واحد كبير أو آخر حلم نراه نستيقظ منه وإذ بنا نرويه ، والحلم عادة يتم على مستويين الأول: هو استدعاء بعض الأحداث التي مررنا بها خلال اليوم أوالأشياء الضاغطة التي تشغل فكرنا قبل النوم مباشرة، وأما الثاني فإنه أعمق ويتضمن الأفكار والرغبات والصراعات الكامنة التي تعيش في عقلنا الباطن من قبل، والأشياء التي تظهر في أحلامنا عادة هي تعبير عن رغبات مكنونه لا نستطيع إظهارها للآخرين في الواقع أو بعض التطلعات والأمنيات التي ليس بمقدورنا الوصول إليها عملياً، فتكون الفرصة الوحيدة المتاحة للتعبير عنها خلال نومنا، وهي في الأساس محتويات العقل الباطن تحقق لنا الإشباع الذي نعجز عن التعبير عنه أثناء اليقظة، ومعه

نــرى علاقة بينه وبــين الأحداث التي ربما تقع في المســتقبل، حيث يتمتع أشــخاص بأحلام تُروى على أنها أحداث حاصلة وتحصل فعلاً، والتفســير العلمي للأحلام التي تحمل بعض النبوءات لا تزال محل جــدل وبحث كبيرين، والحقيقة العلمية تؤكد أن هناك ترابطاً فيه علاقة جامعة بين عقل الإنسان والبيئة المحيطة ،وتفاعله مع الآخرين في شعورعام يُطلق عليه العقل الجمعي الذي يتأثر بالأحداث العامة كحالة وقوع الحرب والزلازل، أو ضمن حالات الرخاء فيستشعر ندرة من الناس حدوث بعض الأشياء الذين يتوارثون خبرات إنسان الملكات الخاصة وتســتمر بهم وترتبط هذه العلاقة بالزمان والمكان، وتختلف أحلام النوم عن أحلام اليقظة التي تســمى بها بكونها تشــبه الحلم لكنهــا لا تحــدث أثناء النوم، حيث إن الشــخص الحالم وهو يقظان ينفصــل بيقظته عن الواقع ويعيش حالة من التخيل تشــبه الحلم ويظهر في المظهر نفسه وقد حقق الكثير من الإنجازات، أو يتخيل أنه تقمص إحدى الشــخصيات ويعيش في هــذا الجو منفصلاً عن واقعه وظروفه المحيطــة لفترات متفاوتة، فتخرجه مــن حالته الطبيعية وتبعده عن أداء مسؤولياته وتفقده طاقته ووقته حيث يضيع الوقت ممن تمتلكه هذه الحالة، ويفقد بها شــكله الحياتي ويدخل في شكل الضغث ومعناها في اللغة: حزمة من الحشيش النباتي وجمعها أضغاث أحلام التي تختلط بها الأشياء وتكون على شكل رؤية كاذبة لا حقيقة

لها، والحُلُم هو الرؤية وهو اسم للاحتلام وهو الجماع في النوم .

الأحـلام ومضات لا غنى لنـا عنهـا، تفيدنا وتنبهنـا بمعلومات حيوية تعيش في القسم الغريزي الفطري، بها دلائل وإشارات تتعلق بمشكلاتنا الشـخصية وأخطائنا وهفواتنا وصراعاتنا التي نعيشها في كثير من الأحيان، ترينا حقيقتنا فلا تضللنا ولا تخدعنا بكونها ببسـاطة تحمل الصور الطبيعية للعقل النائم، تترجمها إلى صور فكرية مجسـمة، أحلامنا صورتنا الجوهرية التي نحن عليها، فإن كنا جيدين وصالحين ومستقيمين تتحول إلى رؤيا وإن كنا مخطئين وظالمين وسـلبيين تتحـول إلى كوابيس وأحـلام مفزعة ننهض منها مهلوسـين، وإن كنا خياليين لا واقعيين نعيش بها الرغبات الجنسية أو العاطفيـة، وأحـلام الغنى التي لـن نصل لها بـدون أمل مقرون بالعمـل حيث تبقينـا في الفراغ ندور، هي الأحـلام من ليس لديه حلم فليصنع حلمه .

الحرب

تنشأ بين أشخاص يعرفون بعضهم جيداً يدفعون بأفراد لا يعرفون بعضهم أبداً بعد شـحنهم بالتصورات التي يريدها أولئك الأشخاص فيموتون قتلاً بأدوات الحرب، ويمـوت معهم نتاجها أناس لا يعرفون

عن سبب موتهم شيئاً ويحصل من جرائها تدمير جزئي أو شامل للمكونات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وللتأكيد على معناها نقول: إنها استخدام القوة بين جماعتين من البشر يخضعان لنظامين مختلفين لهما مصالح مختلفة تبدأ بشكوى وتنتهي بكارثة أو بجملة كوارث، إنها نقيض السلم كما أنها ظاهرة قديمة قدم البشرية رافقت الإنسان منذ نشأته، وهي خلاف لطبيعته المسالمة والسلمية يحملها خوفاً من أجل حمايته والحفاظ عليه، ومع تطور الإنسان وتأسيسه للعشيرة والقبيلة ومن ثم المجتمع المتأطر تحت اسم الدولة ظهرت الجيوش بغاية الحماية لدولها من انقضاضها على بعضها، وغدت بذلك علاقة بين دولة ودولة لا علاقة بين إنسان وإنسان آخر، إذاً لماذا الحرب وما هي أسباب نشوبها كيف نمنع حدوثها ومن يطفئها وما هي آليات التعويض عن مفقوديها القتلى والجرحى والمعاقين نتاجها، من يعالج آثارها من يلملم جراحها ومن يمسح دموع أطفالها كيف نخمد أحقاد الانتقام في أبنائها ومن يؤجج سعيرها ؟.

إن لفظة حرب تمتلك الانتصار كما تملك الهزيمة، وبها وعنها ينتج الألم والخوف المسقط على الحياة الإنسانية ومستقبلها، وكونها تسرح في فضاء العقل البشري التسلطي تحسب الشعوب لها ألف حساب، ومع تقدم الحياة وتقلص الموارد الطبيعية ومكونات الحياة المادية وازدياد الكثافة البشرية تلوح في الأفق كلمة حرب كلما ظهرت

الغيوم الملبدة الداكنة والسـوداء في سماء الحدود المختلفة، والحرب كانت في القديم بين قبائل صغيرة وأصبحت بين دول وأقطاب تحاول أن تبتلع بعضها ضمن وسائل قد تظهر سلمية، ولكنها في حقيقة الأمر أداة من أدوات الحرب، فهي أسلوب من أساليب العيش الإنساني تشبه أي أسلوب من أجل الحصول على استمرار الحياة ولكنها تمتلك وسائل منتجة للرعب في مجموعها العام وعندما تنشأ الحرب تنتهي القوانين وتضعف القيم وتنهار المبادئ وتطفو لغة التدمير والخراب والدم، فلا آداب في الحـروب مهمـا حاولنا أن نوجد لها الحلـول ولا قوانين بعد انفلاتها، هي الحرب وُجدت في الأسـاس لرفـع الظلم و منع التعدي وليسـت لفرض العدوان واستعمار الشـعوب وإذلالها، فالصراع المسلح الذي ينشـأ من غرض سياسـي أو اقتصادي أو غير ذلك من الأحلام السلبية الذي يستخدم القتل المنظم من أجل تحقيق الأطماع المادية أو السياسـية يجب أن يُرفض ويُقاوم بشـتى الوسـائل، لا مشروعية لحرب مهما كانت دوافعها وتكتسـب حضورهـا فقط عند الدفاع عن الذات والدولة .

إن الحرب والغـزو والجهاد كلمات تحمل معنى واحداً هو القتال مع العـدو، بكونها مـن وجهة النظر السياسـية (الحرب) جملة أعمال القـوة الـتي تقوم بهـا دولة أو جماعـة دولية لإجبـار الخصم على الانصياع لإرادتها والعودة إلى الأسـرة الدولية التي تخضع كل الدول

لقانون العدالة الاجتماعية وحماية الحدود دون تعدٍ.

إن الحــرب قذرة لا جمال فيها مهما بلغــت فيها الحقوق، ولا يمكن وصــف أيّ حرب بالأخلاقيــة، وصحيح أن الحرب تعمــل على إرغام الخصم بمنطق القوة المخيفة والضاغطة لأجل تغيير الأسلوب وإعادة الحقــوق وإن ضرورة ومحاولة منع وقوع وحدوث أي حرب لا يتم ذلك إلا من خلال تأمين الرعب المتناظر على طرفي الحدود، ومعه يتم طرح واســتخدام الوسائل السلمية والتي منها الحوار المباشر وغير المباشر والاستعانة بالخرائط والقوانين والأنظمة السياسية الداعمة لتأمين العملية السلمية ومنع الحرب .

السلام

بالتأكيد هو ضد الحرب ومطلب البشرية جمعاء ينشده كل إنسان، يعيش على وجه الأرض يسكن في العقل بكونه حاجة جوهره وبدونه القلق والخوف والرعب، وأدواته الفكر واليد واللســان وشــعاره الحب والأمان والاطمئنان، فلماذا أنت أيها الإنسان تصر على قتل وتشريد وإرهاب إنســانك لماذا تصــر على عدم فهم لغة التقــارب؟ وأن العالم أصبح صغــيراً جداً بكثافته وأنــه امتلأ بنا وأننا علــى مركب واحد

نسـبح في هذا الفضاء الذي لا شـواطئ له وبه ارتبطت مصالحنا مع بعضنـا وتكاملنا من خلال نقص ما نملـك فبنا نكتمل وبدون ذلك لا يمكن لنا الاسـتمرار ، هـو ارتباطنا في رحلة الحياة الإنسـانية اللا متناهية، فأين منا السلام نبحث عنه بكونه غايتنا وهو معنا أحلناه إلى عنصرية وشوفينية واستخدمناه كأداة نمتطيها للوصول إلى مآرب فيها إهانة الروح الإنسـانية التواقة دائماً وأبداً إلى المسالمة والسلام بكونه شاطئها ومرفأها الأمين .

السلام اسم الإله وربطه باسمه الثاني المهيمن الذي يطفو على وجه الأرض والخشية عليه خشية على الروح الإنسانية كما أسميت الجنة دار السلام، واليد تعبر عن التحية التي تحمل السلام كما أن الشفاه المأمورة من العقل إلى اللسـان تتحرك لتنطق بالسلام عليكم وإليكم، ومنه أنطلق و أغوص معكم في فلسفته أتدارسه معكم ونستبصر جوهره الممتلئ بقضايا تخص الإنسـان وتطوره وحياته وانسجامه كما تخص اجتماعه والتئامه وارتباطه وتجذره مع أرضه ومحيطه وتكوينه، وأن نمتلك السـلام يعني أن تسـلم ذاتنا من الضغائن والأحقاد والنقص، أي ابتعادنا عن الشـر والاستعلاء والتسـلط والاغتصاب حيث ينشأ الخلاف جراء ذلك الذي يشعل الحرب، وعليه نعرج على السلم فنجد أنه العقـد الذي يتفق عليه طرفان وشـعاره القبول والإيجاب،أي أن يتوحد الإنسـان أولاً ما بين مظهره وجوهره ليظهر متصالحاً مع ذاته

ويبدو مسالماً أميناً شفافاً ومن ثم يتصالح مع الآخر بنية طلب السلام لينعقـد عقده ، ومعه أقول إذا توفر حقق السـلام وبدا به الإنسـان صحيحاً جسـدياً ونفسـياً وتعلو الهمة رأسـه فينجـب وينتج ويبدع ويتألق، تراه متقدماً أميناً لا يخاف ظهره كما أنه يرسـم البسمة على الوجوه فلا يمكنك أن تلقي السـلام على أحد أيٍّ أحد دون ابتسـامة فيحقق لـك الآخر الأمان وبه نصل إلى علاقـات ودودة وراقية تبعد الاضطراب وتوجد السكينة.

إن الحاجة إليه تعني الحاجة إلى الحياة المبدعة العاملة والمحافظة على وجوده وبدونه يكون الخراب والقتل والتدمير وانتزاع الغمام من السـحاب، فلا أمطار تطفئ حرائق ولا النفوس تسـكن الجوارح، إنني وكما ذكرت: اليد والشفاه واللسان أدواته المحببة، وفي ذات الوقت أدوات الحرب الضاربة ولكن أن ينتصر السـلام يعني الانتصار للحياة : حياة الحيوان والجماد والنبات والإنسـان المربع الدائم الذي يبدو كجدران تحميك وتحميني وتحميه وتحقق لنا الأمان أي المسالمة بالسلام .

لقد قام جوهر الفلسفة على السلام وبدونه لم نكن لنرى هذا الإبداع الإنساني الذي هيأ لنا جملة الوسائط الحياتية، ولما كنا استمعنا إلى ذاك التكامل الفني الأدبي الذي يلد كل يوم جديداً، ولما استطعنا أن نتطلع إلى الورود والأزاهير وأصوات العصافير وخرير المياه وحفيف الشجر، ولما نفرنا من أصوات الرصاص والقنابل ولما عشنا رهبة الذرة

وانشــطارها وآثارها المدمرة على الحياة كلها ولما ارتعشنا أمام الدماء النازفة مــن أولئك الذين قضوا في المعارك وتحت ركام نواتج القصف والأشــجار المحترقة ، والعصافير الخائفة، ولما تخوفنا من بشــريتنا إنني أعتقد بأن كل نفس إنســانية تواقة للســلام الذي يعيش فيها وإدراكــه كي تفعله ضمن مــا تمتلك من حوار، واليــوم بدت الحاجة إليه أكبر بعد أن اقتربت المسافات كثيراً بين الإنسان والإنسان وبدأ التزاحم على الغذاء والبناء والأرض والسماء .

السلام إيمان حقيقي بالموجودات المحيطة وما نقف عليها وما يظلنا وأهم عناصر فلســفته الإنسان التي قام عليها حيث به تعمر الأرض ويظهر البنيان وعكســه شر وإســاءة ودمار، لنتمسك بالسلام بكونه جوهرنــا الــذي نحب أن نظهــره وأن نعمل عليه ونتعــود إلقاءه كما التحية بمضمونها السلام.. والسلام عليكم .

السكون والحركة

أبحــث وأضيف قائــلاً الحق إنني أتلمّــس أبعاد الحياة التي شــغلت الإنسان على طول مسيرة عمره ودخولي للتحدث في السرود المنجزة من قبل من قاموا بالدخول على هذه المسيرة وقصدي في ذلك البحث في الثابــت والمتحول، أنــا وأنت وحدة، وهو وهي وحــدة، فكيف يكون

ذلـك وإلى أين سـنتجه أنا وإيـاك معهم، طبعاً أوضح بأن كل شـيء غيرنـا (الجنس الإنسـاني) هو وحدة ثانية فـالله والمادة والطاقة هي الوحدات التي سـنتحد معها لنشكل منها العلاقة والجدلية وبها ومعها نكون نحن ، وفي هذا المسـير سـنتوقف عند النسـبي والمطلق ونفتح باباً للحوار حول وجود المطلق وعدمه والنسبي وماهيته بغاية أن نصبـغ على الفكر المشـغول مضافاً نريد فيه ربط ما سـبق مع ما حضر وإلى ما سيأتي .

فـإذا كان هـو الثابت ونحن المتحـول وهو السـكون التاريخي ونحن الحركة الأزلية وإذا كان هو المطلق كيف نسـتوعبه بما أننا «نسبي» وإذا كنا «مطلق» فما هي نسبته فينا؟ واستكمالاً للمحاور التي نطرق أبوابهـا نتطلع ببصيرة إلى الطبيعة و موجوداتهـا وما وراء الطبيعة ومكنوناتهـا وأمـام الطبيعة ومخزوناتهـا وكم من الوقـت نمتلك كي نسـتلهم من الأمام بعد أن كسـبنا من الوراء، وهـل نحن أي أنا وأنت وهو عند الوجود مع الموجود نشـكل رابطة بين اليمين واليسار وبين الشـمال والجنوب وبين الوراء والأمام، وهل نحن في حالة السكون أم الحركـة أم نحن السـكون والحركة أم هو السـكون ونحن الحركة أم نحن في تبادلية اسـتراتيجية توافقنا عليها في اللاشعور من الشعور بأننا بحاجة لها .

إن حبة القمح القاسـية هي السـكون والمناخ المحيـط بها هو الحركة

فإذا حركتها من السكون ووضعتها في المناخ الطبيعي الذي يتناسب معها وخدمتها تحولت إلى حركة وأصبحت هي الحركة والسكون، وكذلك هي أعتى الأشجار وأقواها وأطولها كانت سكوناً وتحولت إلى حركة وفي الناتج النهائي عادت إلى السكون بعد انتهاء حالة الحركة، وتربطنا هذه الحالة مع حالة الجذر بالفكر في معادلة فريدة يجريها الفكر وأدواته التي تتطلع إلى الجذر لتنشأ الحركة والنمو من السكون القابع في أعماق الحركة ، من هنا نجد أن السكون هو بين الحركة والحركة، وأيضاً الحركة هي بين السكون والسكون، فماذا يعني لنا هذا وإلى أين نريد أن نصل وهل ينطبق هذا على الإنسان والحيوان والجماد والنبات وأين موقعه من السماء والأرض وأيهما حركة وأيهما سكون؟ هل السماء الحركة أم السكون بكون قناعتنا أن الأرض حركة وهل نحن بالنسبة للأرض الحركة لتعود الأرض وتكون السكون بالنسبة لنا أيضاً نريد أن ندخل على علاقة السكن بالساكن والواقف أمام الجدار الحجر يهتز أمامه على أنه الحركة أمام السكن، أم علاقة المتهيب أمام مذبح النجاة من الآلام، وعلاقة السجود بالساجد والساجد بالمسجود عليه والمسجود له. إن فهمنا لهذه العلاقات التي نحاول من خلالها فهم هذه المعادلات التي شغلت كثيراً من العلماء والباحثين والكثير من المحاولين لفهم علاقة الوصول من الطرفين إلى نقطة السكون فهل السكون هو في المنتصف

أم بداية أية نقطة أم نهاية أي مسير.

أنا متأكد كما أنت أننا نسأل معاً هل هذا تعقيد أم تبسيط لفهم آلية الحياة؟ وأضيف متسائلاً معك هل لهذا علاقة بالحامل والمحمول والذي يشبه السكون والحركة أي الثابت والمتحول وبما أن الإنسان والحيوان والنبات والجماد ثوابت يعني أنها لم تتغير منذ بدئها أو تعرفنا عليها وعلى أنفسنا، أي بمعنى أدق أننا لم نتحول من شيء إلى شيء ونحن كما نحن وكل شيء كما هو على اختلاف تنوعاته وأجناسه، يعني أننا ثوابت والمتحول هو التغير البنيوي لأية مادة جامدة أو متحركة، هذا يقودنا إلى الزيادة والنقصان في أية بنية روحية أو مادية، ومنه ندخل إلى حالة العقل محاولين البحث فيه وفي إدراكه للثابت والمتحول والساكن والمسكون، فمنه تنطلق شارة البدء وإليه تعود وهنا تتجلى نظرية الثابت والمتحول، أي نظرية المحاكمة عند امتلاكك لطرفي المعادلة حيث يصبح العقل في المنتصف وطرفا الاستماع وطرفا النظر المتحولات العائدة إليه بحيث أنها انطلقت منه وكانت بمثابة الأدوات الجامعة لأجل فهم الحركة المحيطة من السكون.

أين يكمن الثابت في معادلة التطور والتخلف والارتقاء والبقاء والنقاء والبغاء والتقدم والتراجع والصعود والنزول فهل كل هذا متحرك؟ هنا أبدأ في الدخول على الثابت والبحث عن موقعه فهل هو النتيجة

بعد حصول لقاء الطرفين، ودائماً نعلم وتعلمنا أن طرفين لمعادلة يوصلانك إلى نتيجة جديدة أو قادم جديد هذا أمر بديهي، ولكن هذه النتيجة هل من أيةِ معادلة لتتحول إلى ثابتٍ أو ساكنٍ ينتظر طرفاً جديداً فيصبح معَه متحولاً أو متحركاً أو فاعلاً ليدخل من جديد في صلب الحامل ويكون محمولاً إلى أن تحدث الولادة أي النتيجة الجديدة التي تحوله إلى ثابت .

إنني أشعر وأنا أتفاعل مع هذه القضية بجدليتها صعوبة تحولي من ساكن إلى متحرك، لذلك أدخل عليها أحاول إيجاد مدخل لتكون معي طرفاً فيها غايتنا إنجاب ثابت ومتحول نتطلع معاً إليه كي يأخذ بيدنا من أجل حصول التطور والتقدم والارتقاء خطوة إلى الأمام وإلى الأعلى .

إليك أشير اقترب مني تعال أُنشئ معك حواراً، سأبدأ بسؤال: الموسيقا ثابت أنت تحركها والثقافة متحرك وبكونك ثابت تسعى لامتلاكها، وإن لم تطّلع على ثقافات الآخر لن تتحول إلى كاتب ثابت والكلمة متحولة متحركة على صحائفه الثابتة بدليل أنها تبقى معك (أي أنت والصحائف ثوابت) تغادرك الكلمة إلى الآخر أو إلى الفضاء تتجول عبر كل المحيط وتتداخل مع الجميع بينما المادة ثابت، أما أنت فثابت ومتحول مارأيك في ذلك؟ من هنا وعليه أجري قياساً على كل شيء .

اللّه ثابت والدين متحول بكونه جزاءً وديناً عليك أن تردّه ومعنى ثابت أنك تتطلع إليه من حركتك فأينما اتجهت تراه وفي ذات الوقت هو في داخلك محمول بين جنباتك والنظرية تقول: إنه حاملك بينما الواقع تدركه وبعجالة في حالة التفكر العقلي إنك حامله، ومن هنا تتناغم مع كل الأشياء ومع نظرية الحامل والمحمول في نتيجة أدعها لك كي تبدأ التفكير والتفكر وامتلاك العلم من أجل العمل، فهذه الرابطة الجامعة لتلك الآليات أي التفكر والتفكير والعلم ثوابت تتطور للتحول إلى حركة؛ التي هي العمل إن أجدته ظهر متحركاً ومتحولاً .

هل الكفر والإيمان حالات تحول؟ أم أنهما كسب واكتساب وشك ويقين بسبب وجود حالة التنقل بين القلب والعقل واحتياج الإيمان بعد حصول اليقين إلى تثبيت وبشكل دائم إلى تدعيم ، والكفر هل هو حالة رفض العقل لليقين أم أنه حالة يقين متعاكس على شكل ضد الضد .

وكذلك يكون الإشراك والتوحيد، وعلاقة العالم والفقيه والهوية والجنسية والذكر والأنثى هل تستطيع أن تحدد من منها الثابت ومن يأخذ دور المتحول .

تعال نأخذ الدين كثابت وأداته الوسيطة الفقيه أو الكاهن كمتحول وكثرته التنفيذية المتلقي ماذا نجد؟ فتابع لترى أن المتلقي

القاسم المشترك بين الثابت والمتحول وهنا تكمن جدلية التاريخي والاجتماعي فالدين تاريخي والإنسان اجتماعي فإذا ثبت الدين تحول المجتمع إما إلى الأعلى أو إلى الأسفل وإذا تحول الدين ثبت المجتمع فكيف هذا يكون ؟.

هنا نتوقف قليلاً وندخل إلى النسبي والكلي، فهل الكلي مطلق وهل يمكن أن يتحول النسبي إلى كلي بكون النسبي متحولاً والكلي ثابتاً وبما أننا تحدثنا عن المطلق أي التمام نختلف في الإطلاق ، فالإطلاق نسبي وهي آتية من الانطلاق أو أنك تطلق على الكلي أنه مطلق فبكونك أنت من تطلق عليه المطلق فهو ينحصر في نسبيتك، أي أنك تحصره في جزء يخصك لتستطيع حمله وإلا لن نستطيع، وبذلك لن تكون «لا نسبي» وغير قادر على حمل المطلق فأين أنت أجبني ؟.

وأنا أنتظر إجابتك أتابع في مسألة الصبر ومساحته ونسبيته وكيف أنه ثابت متحول في آن، فهو ثابت في حالة الانتظار ومتحول عند الوصول إلى النتيجة وعلاقته بالسالب والموجب، من النتائج تُظهر موقفه وتعطيه شكلاً جديداً مؤهلاً للاندماج في عملية الشكل الإنساني وإذا أخذنا حالة أخرى: الثقافة مثلاً هي ثابت ومتحول أم أنها تداخل نوعي، وعند دراستنا لحالة ثباتها نجد أنها منحصرة مترهلة متأخرة مهلهلة مرفوضة من التواصل الاجتماعي؛ إن لم تقبل التطور الذي يغنيها بتبادلها مع ثقافات الآخر فتظهر في شكل

الثبات والتحول متطورة .

إن ما بين السكون والحركة مركز أمر ضم الحالتين من خلال الأمر المعطى للسكون فأصبح حركة، هذا يعني أن الثلاثي: السكون والمنتصف (المركز) والحركة دخلت في وحدة اللا متناهي، وهي مساحة لا يستطيع تقديرها لذلك وأثناء رحلة الحركة تتهاوى الأجسام وتظهر أجسام تستلم إكمال المسير في رحلة اللا متناهي، هذا يقودنا إلى أن نسبيتنا نسبة مطلقة إلى أن تنتهي، ولكنها متواصلة مع اللا متناهي فيغدو الإطلاق غير المطلق بكوننا غير قادرين على تحديده ويعود ليأخذ شكل النسبة من نسبيتنا .

الآن هل المركز ثابت أم متحول وهل هو في نقطة ما معروفة أم مجهولة وهل يتنقل بانتقالنا وعندما نصل إلى الطرف الآخر هل نجده أمامنا ليغدوا مركزاً جديداً أو متجدداً، وعند حركتنا هل نمر من خلاله أم هو محمول معنا؟ فالمركز (سرتنا) أم سرّنا العقلي المنطقي العاقل .

هذا يقودنا إلى موقع العلم وهو الجاذب الأهم في الحياة بحيث أنه ثابت لم يتحول وليس به انحدار بل ارتقاء، فمن السكون يجذبك لتتحرك بمجرد أن تبصر وتتبصر تعلم أن شيئاً ما عليك إحداثه، يشغل عقلك بكون العقل ساكناً ومتحركاً فاعلاً ومنفعلاً ثابتاً ومتحولاً، يحول البصر إلى فكرة يستحضر العلم المتملك يتفكر بها فتغدو بالبحث والتعمق والتحليل لهذه الفكرة المتفكر بها علماً يعمل

به ويستفاد منه .

نعم العمل هو الكبير وهو الكبير جداً جداً ونستطيع أن نقول عنه إنه المحيط، وحقيقة العلم المحيط بنا تقودنا إلا أنه ومهما تعلمنا في لحظة هدأة وسكون نجد أننا في البداية أمام أية معضلة صغيرة قد تعرقل آلية التطور وتحولنا إلى سكون كامل بعد فعل الحركة الكبير.

من هذا نجد أنك ومهما تعلمت تجد أنك جرم صغير في بحر العلم ومحيطه ونقطة ساكنة فيها عقل، إن أردت أراد فتتحرك لتعلم وما تعلمه قليل، فمنه وعليه تجد في الانعكاس أن العلم ساكن بكونه كبيراً وأنت المتحرك المتجول فيه يدعوك للاستفادة منه وطلبه والاغتراف لتحصل على القليل منه يأخذ بك لتكبر وتكبر يظهرك ويرفعك ويسمو بك فتكون به عالماً أو متعلماً أو عارفاً أو فهيماً ويبقى هو الكبير جداً وأنت أمامه الكبير الصغير إن تعلمت، وهذه مسألة المسائل، حاول أن توجد علاقة بينك وبينه أي بين الكبير والصغير فإذا وجدتها قل: وما أوتيت من العلم إلا قليلاً ، ومنه نتجه لنتأكد ونؤكد أننا نسبة أمام الكلي الذي ما إن نحصل على نسبتنا منه حتى يغدو فينا «نسبي» الذي نصل به إلى نقطة معتمة تعيدنا إلى التفكر فيظهر أمامنا من جديد «كلّي ومطلق» نقف أمامه صغاراً (نقطة) تبدأ من جديد .

هنا نتوقف وندخل على جدلية النقطة الصفر وآلية التحول إلى الواحد والمسير الإنجابي التسلسلي حتى نصل التسعة التي بخروجنا منها نعود إلى العشرة التي تتشكل من الصفر والواحد، فتتجلى قواعد السكون والحركة والثابت والمتحول والحامل والمحمول كما تنجلي الفكرة عند توحد الناظر مع المنظور الذي إن استطعت أن تخترقه دخلته (أي دخلت روحك إليه) فتحرك في وحدة لا يراها إلا طالبوها والباحثون عنها.

يجب أن لا ننسى أيضاً علاقة العلوم الإنسانية مع العلوم المادية وأيهما الثابت أو المتحول، ومن المسؤول منهما عن خلق جدلية البداية المؤثرة التي أدخلتنا التاريخ، وإلى أي منهما اتجه وعلاقتهما بالبناء الإنساني وعلاقة البناء الإنساني بالبناء التكويني للجملة الحياتية؟ ففلسفة التكوين الفكري للإنسان لم تنطلق لبناء الإنسان إلا بعد أن خاضت تجربتين الأولى عاش فيها المشاعية بكل تداعياتها وسيطرتها اللاأخلاقية أو بمعنى أدق نطلق عليها الإشباع للرغبات (طعام وجنس وأدوات حماية) وبحث وخلق وتخلق وهيام يبحث عن الوجود في الوجود وضمن الموجود .

هذا يدعونا لأن نتعرف من الواقع الذي نحن فيه على سؤال وإجابة: هل وُجد الإنســـان ومعه العلوم الإنسانية والمادية كجملة كاملة؟ ومن ثم تمرد وفُصل وتفصل في قياســـات ومقاســـات وبعـــد وأبعادأوصلتنا

إلى ما نحن فيه كي ندخل من جديد في حوارية الساكن والمتحرك والثابت والمتحول والماضي والمستقبل انطلاقاً من الواقع أي الحاضر الذي نحن عليه وضمنه .

هنا نتوقف وننهي هذه الجدلية متعلقين في المستقبل الذي يأخذ شكل الثابت ونحن المتحول إليه، بكون الماضي بعد انتهائه من لحظة الحاضر يصبح ثابتاً ليرتبط الاثنان في نظرية الثابت ونحن المتحول، بهذا نكون نحن المعادلة والقاعدة وشواذ القاعدة، نحن الثابت والمتحول بكون أن المحيط بدوننا أي بدون الإنسان ثابت، والإنسان هو الوحيد الذي يخبر عنه فبدونه لا حياة ولا تاريخ ولا حاضر ولا مستقبل، وبدونه أيضاً لا حامل ولا محمول ولا ساكن ولا متحرك ولا ثابت ولا متحول ولا نسبي ولا مطلق.

السؤال الأخير هل تعلم لماذا أخاطبك؟ لأنك إنسان مادي ولا مادي متحد مع بعضك لتكون وحدة وأنا لا أستطيع أن أخاطب مادياً بلا روح، وإذا تجردت عن روحك تحولت إلى جماد أي إلى مادة، وبالتالي إلى سكون وأنا لا أريد إلا أن تكون متحركاً كي أسير بجانبك وأحاورك، لهذا استطعت أن أجري وأنا أسير بجانبك هذا الحوار، إذاً نحن نتحرك ويكفي أننا تحركنا من سكون فشعرنا بأننا موجودون، كما أحسسنا بوجودنا وبوجود الموجود القريب والبعيد والمطلق والمحيط.

الانحراف

يبدأ من الانقياد وراء الميول والرغبات الطبيعية ويتعزز بالتعلق بإحداها التي تجرفه آخذة به محولة إياه إلى مسارات تخرج عن المألوف، وتظهره سلبي السلوك بكونه ابتعد عن الطرق المستقيمة والقواعد والنظم الأساسية للحياة الطبيعية، وقد يحدث الانحراف في مراحل مبكرة ويستمر مع الإنسان ونادراً ما يحدث في السنين المتوسطة أو المتأخرة من العمر، حيث إن الاندفاعة الأولى لتجريب غير المألوف تكون كبيرة ومعها يحدث التعلق دون دراية أبعاد الفعل إلى أن يتمرس به ويعتبره طريق اللاعودة ولا يستيقظ منه، أو تحصل الصحوة إلا حين الوقوع في نتائجها وكثيراً ما تكون مدمرة وفي وقت متأخر من مساحة الزمن المقطوع على طريق الانحراف، وللعلم لا انحراف بلا جذور، فالانحراف المتأخر هو نتاج لبذور خاملة ضمن الرغبات الكامنة تمنعها ظروف الحرمان أو القسوة أو الضغط، كما أن التربية والأسرة والبيئة والمجتمع تقع عليهم المسؤوليات الجمة في إنبات أو إخماد بذرة الانحراف، وأن إطلاق الرغبات وفسح مجال لانفلات الشهوات يأخذ بالإنسان إلى مجاهل الحياة، يسلبه قيمته الإنسانية ويضعه على سلم الانحراف ليحمل منه مالا ينفعه في جوهره ويرتسم على وجهه صورته التي تتجلى في حركته ومسيرته،

مسببة له الضرر وإضاعة الوقت وهدر الصحة والمال، كما أنه يفقده الحياة وينمي في داخلة الوقاحة وعدم الالتزام وعدم احترام الآخرين له، حيث يضعونه في قائمة الشذوذ والفساد الأخلاقي بكونه ابتعد عن القيم والمبادئ والأعراف وخرج من دائرة السلوك الإيجابي البناء، ويغدو مصدر خطر أينما حل وحيثما ارتحل ويكون ذلك على شخصه أولاً ومن ثم أسرته والمجتمع .

وأياً كان شكله أي (الانحراف) في الأداء الوظيفي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي فإنه قادم من آليات انحراف القيم والمبادئ والأعراف ومن أي منهم أتى وكان، يكون انعكاساً لقناعات سلبية أوتطور الهوى النفسي حيث يطلقها فتأمره بالاستزادة التي تُحدث السوء، والذي يكون صفة للانحراف وعدم المقدرة على إصلاحها وشكمها وقيادتها فإن به كل الخطر، وأياً كان صغيراً أو كبيراً فهو يؤدي إلى كوارث فردية تبدأ من فرد وتنتهي بمجموعة تنعكس على مسيرة الحياة المحيطة ويكون ظهورها الدائم سلوكاً شديد الخطورة على كامل الحياة.

إن الانفراد والانطواء على الذات وكثرة النوم وعدم الاستجابة للمعرفة والطلب وتنفيذه والشهوة الفائضة للماديات التي يمتلكها الآخر وعدم السعي للحصول عليها بالطرق السليمة التي تحمل العلم والاجتهاد والعمل والغموض، وعدم التعامل بوضوح واللجوء

إلى إبهام الأشــياء والتستر عليها والتي يشير العقلاء على أنها أفعال قادمة من الســلوك السيئ يذمه الآخرون، من خلال رفضهم للتعامل معه طالما أنه يقوم به وبكونه لم يستجب إلى النصائح.

بالعودة عنها يتم التأكد والتأكيد على رســم شخصية له وإعطائه لقــب المنحرف الذي يجب أن يصلح بوضعــه إما في المصحات وإما إلى القضاء حيث يأخذ مجراه محاســباً إياه على نتائج أفعاله وســلوكه، إنه كل الممارســات الخارجة على مجموعة الشرائع والقيم والأخلاق والعادات والتقاليد وبشــكل أدق انتهاك للمعايير التي تحكم ســير المجتمــع ســواء كانت هذه المعايــير معلومة أو غير معلومــة كما أنه انتهــاك للقوانين والقواعد التي تحكم علاقة الإنســان بالإنســان والأسرة والمجتمع .

العنف

صورة مــن صور القوة وجناح خامل مــن أجنحتها، بكونها تعيش في عمقه وعلى أطرافه وتثيره لاســتخدامها بالشكل الكامل عند تطور الانفعــال، فهو فعل من أفعالها وأداة من أدواتها كما أنه ظاهرة نتابعها في غفلة من ســكون، ننتبه فنراه انفعالاً يستخدم العنف ويكون بين الضحية والجلاد وبــين المعتدي والمعتدى عليه وبــين الرياح العاتية

والأشجارالآمنة بين الموج الهائج والمراكب البسيطة بين النيران المتأججة والجمال الطبيعي، إنه العنف يتقدم القوة دائماً وقبل استخدامها بالشكل النهائي، وغايته إفراغ انفعال أو تحقيق انفجار يتم فيه تجاوز التنظيم العقلي وفلسفة تكوينه التي تسيطر على الحركات والأفعال الإنسانية، فيخرج من سلوكياتها وعلاقاتها الاجتماعية ويبتعد عن الدينامية الاجتماعية المرخية بظلالها على الفكر الإنساني الآمن، فينطلق مبتعداً عن كل السمات العاقلة ويلبس أشكاله المتعددة ، فتارة يظهر نتاج حسد وأحياناً تعدياًعلى حقوق الآخرين، وكثيراً ما يرتبط بالصراعات الطبقية عندما تتنافر المصالح، حيث يحدث رفض للغة الحوار وإبعاد إمكانية قبول العقل لمرتكزاته الأخلاقية مستنداً على أدواته المادية التي تنفلت من الحواس الإنسانية، وشكلها أوامر تهيئ للتخريب كما وينشأ من ردات الفعل الخفية والتي لا تظهر في سن مبكرة وتكون نتاج عنف قديم يستيقظ متأخراً أو عند امتلاك القوة والمقام .

لماذا العنف، وهل يوجد عنف مشروع وعنف غير مشروع؟ عنف ثوري غايته التحرير والتحرر وعنف فوضوي غايته التخريب وإثارة الضغائن والأحقاد، هل يوجد عنف محمود وعنف مذموم، هل هناك عنف تأديبي يهدف للإصلاح أو انتزاع الاعترافات، وعنف يوصل إلى الحقوق ويعمل على إعادتها أيضاً بعيداً عن الحكمة،

هــل العنف اختصاص الذكــورة التي تتمتع بالقــوة المادية الظاهرة والســيطرة الممنوحة لها من السلطات الروحية، وهل هناك عنف لا مادي يعيش في العقل على شــكل أفــكار انتقامية يبني جملاً عنفية أساســها كلمة يستخدمها دون توفر القوة الظاهرة، فيكون الجهل به ســلوكاً قادماً من تطــور الجهل لا من امتلاك العلــم والمعرفة والفهم المؤســس للحوار المنطقي الذي يلغي العنف، وفي حقيقة الأمر العنف اختصاص الذكورة والأنوثة، ولكن نسبته الأكبر لدى الذكورة تظهر في شخصية الأنا التي يحملها الطرفان ويكونان بها «نرجسياً أو سادياً أو مازوكياً»، ولا ينطبق هذا على الفعل الجنســي فقط أي الاستمتاع باســتخدام العنف الذي يحقق ما خفي في العقل من أشكال الشذوذ بالتبــادل من أجــل الحصول على اللذة الفائضة وتحقيق ما يســمى تجاوز حدود المســموح والنفاذ من ثقوب القانون الذي يعطي التصور وإمكانية تحقيق التعدي بكل أشكاله، ومنه العنف الجسدي والنفسي والمنزلي والوظيفي والسلطوي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، كما يســمح بإنشاء العنف الروحي الذي يمارسه الإنسان على جسده وروحه من خلال شــدة ضبطها وتعنيفها لتنعكس عنفاً على أســرته ومجتمعه وأمته تحت اسم السعي لتهذيبها وإصلاحها وإرشادها .

إن المعيــار لتقييــم أي فعل يخــرج من دائرة الســلوك الإنســاني الاجتماعــي وفرزه ووضعه ضمــن دائرة العنف هو مقــدار ما يلحق

صاحبه من أذى مادي ومعنوي للإنسان والأسرة والمجتمع والأمة، بدءاً من الأذى الجسدي إلى المادة المحيطة والطبيعة وموجوداتها، وعندما يحقق لهذا الكل الوصفي المهانة والاضطهاد والتشويه والتخريب الذي يظهر في الجسد الإنساني أو المادة المستخدمة أو الطبيعية يكون هنا العنف شذوذاً خرج من الطبيعة الإنسانية ودخل ضمن تصنيف العدوان والإرهاب والتهديد، وبناءً عليه غدا للعنف قواميس من أجل تعريفه وشرح أنواعه وأقسامه وكلماته وأدواته، فليس العنف تعدياً فقط على الماديات وأشكالها؛ إنما العنف الكلامي أقسى فيما أعتقد من أي عنف يمارس الآن، وهو يختلف عن التوبيخ أو التنبيه أو الإنذار أو حتى العقوبة والطرد على أخطاء قد نرتكبها ونحن نسير بالنوايا الحسنة، فكلنا يخطئ ويحتاج لإصلاح خطئه بمساعدة الآخر، ولكن بالتأكيد: إن العنف فعل حداثي نتج من الكثافة السكانية واقتراب البشر من بعضهم، نظراً لانحسار المساحات الجغرافية وانحشار الناس في مناطق ضيقة خلقت ضيقاً فكرياً ومادياً ورفعت من نسبة الشهوة والغيرة والحسد، أي زادت من نسبة الضغائن وأوجدت نزاعات وصراعات عنيفة على الغذاء والكساء والمكان فأنجب العنف الذي يتطور في كل يوم ومع كل قادم جديد وصراعاً على الزمان والمكان وحياة الإنسان عنفاً قد لا نستطيع وقفه إلا بتحقيق الأمن للبشرية والأمان من خلال إعادة فهم أسباب

الوجود للحياة ومتطلباتها والعودة إلى الطبيعة والطباع الإنسانية والتطبع بقول الآخر ومحاولة إنشاء حواريات تخفف منه .

الطبـــع

غلب التطبع ومن شبّ على شيء شاب عليه، وهكذا هو طبعي نشأ معي ومعه ومعها ولا نستطيع تغييره ، مقولات فيها الكثير من التجني على الآلية الإنسانية التي وُجد الإنسان بها وجُبل عليها، الطبع يرافقنا طيلة مسيرة حياتنا متأثرين بعوامل الوراثة والتربية والعلم، طبعاً هو يختلف كثيراً عن التطبيع والتطبع ومثله في ذلك مثل الأصل والهجين، ولكن امتاز كل إنسان عن أخيه الإنسان أينما وجد على وجه البسيطة باختلاف طبعه، ولكن نلتقي جميعنا بوحدة المصير حيث أننا نسير جميعاً وعلى اختلاف طباعنا ضمن آلية الاجتماع والافتراق نخضع لقوانينه بكوننا لا حياة لنا في انفراد، بالتأكيد الطبع ليس سلوكاً إنما هو حقيقة الشكل المادي والسلوك صورة من صوره المشاهدة أثناء القيام بالأفعال وطرق تنفيذها والتي نحكم من خلالها على الشخص الفاعل لها ، فهل يمكن اختراق الطبع وتعديله أو استبداله بالتأكيد نقول لا، ولكن يمكن تهذيبه بالاستثمار الجيد

لجملة السلوك ،فالنمر طبعه الشراسة ولكن بالتدريب يتطور سلوكه إلى كياسة فإذا ابتعدت عنه عاد إلى طبعه، والإنسان طبعه المشاعة وسلوكه المدنية، فإذا رفعت عنه مدنيته عاد إلى بشريته ومشاعيته، وهو كما يؤكد كل الباحثين صـورة الحياة الطبيعية بكامل تنوعاتها وتجلياتهـا القائمـة على المائـي والترابي والهوائي والناري مشـكلة قاعدة مربعية تتراكب عليها الأنواع المثلثية، أي الإنساني والحيواني والنباتـي حيـث يكتمل الهرم متحولاً إلى حقيقة الشـكل المتحد في المادي واللامادي، و به نؤسـس قائلين على الإنسـان: إن طبعه يقوده حين يترك له الحرية ولا يقيده بالمعرفة والارتباط والاحترام، كما أننا نوصّف الإنسـان من طبعه برقابتنا لطبعه المتشكل مما ذكرناه، وعليه نقول: إن المائي انسيابي هلامي بنّاء وتشاركي حي يحب الحياة والإحيـاء، وإذا انفرد بذاته وبقي وحيـداً تراكم وهدر واهتاج هادماً السـدود، أما الترابي فهو ذري سـاكن متراكم فوق بعضه، ولقاؤه مع المائي ينجب وينبت ويعطي متحولاً من مسـطح له شـكل الأرض إلى عمودي فاعـلاً ومنفعلاً «صلصـالي»، أما الناري فهو المشـتعل دائماً متهيئاً لإشـعال كل الحرائق إن لم يضبط وتوجد له آلية الاستفادة منه فكوّن مع الهوائي أداة عنف واضطراب في حالة اشـتداد الهواء، أمـا في حالة الصفـاء ففيه الرضا والحاجة إليه تتجلى في اسـتمرار الحيـاة ، من خـلال التنوع الـذي مررنا عليه نجد أن الإنسـان ابن

الطبيعة بكل ظروفه، وكل واحد منا حمل شـيئاً من تنوعاتها وانفرد فيه مشـكلاً صورة من صورها، لذلك نقول عنه أي: (الطبع) فطري طبيعي ارتدى ثوبها اللحمي وكان مدنياً متفرداً بين أنواع المخلوقات، حيث حمل العقل القابل دائماً وأبداً لتطوير الطبع وتعزيز السـلوك الإنساني الجميل .

هكذا هو الإنسـان اجتماعـي بطبعه، لا يمكنـه الانفراد والعيش وحيداً، ومنذ ولادته ينمو ويكبر في حضن أمه وأبيه لا يبتعد عنهما مشـكلاً أسـرة تتطور إلى مجتمع الذي تحمل شـكله ويحمل شكلها ويغدو طبعه من طبعها تتمايز به عن المجتمعات الأخرى والتي نقول بها إن لكل مجتمع طبعـه، وبالتحليل لآلية الطبع نجده في مفهومه فطرياً قادماً من بيئة ترتسـم عليه ظـروف وجوده فيها، فالصحراء تعطي طبعاً صحراوياً، والجليد يعطي طبعاً جليدياً والخضرة تعطي طبعاً اجتماعياً ونرى السهولة والصعوبة واليسر والاضطراب والفعل ورد الفعل، فلا يوجد إنسان بلا طبع والكل لديه طبع نتعامل ونتبادل معه الأحكام من خلال الأفعال .

إن تطويـر الطبع من خلال تهذيب السـلوك واكتسـاب السـجايا الحميـدة وحمل الصفات الجميلـة من خلال التبـادل الطبيعي مع الطبيعـة يظهر الفطرة علـى أنها ثوب يخفي تحتـه مدنية علمية فاهمة لطبائع الحياة المنتشرة عند الإنسانية جمعاء، وإدراك الطبع

من خلال السـلوك المكتسـب إيجابياً يطـور الإدراك ويخمد نيران السـلبي ويحول العادة الإيجابية الفردية إلى طبع جماعي، فالفرد الذي ينشر الخير ينقل طبعه الخيّر إلى المجموع فيكتسبه الآخرون ويظهـر المجتمع الخيّر، ولنقس على ذلـك كل أنواع الطباع والطبائع؛ فالعلم والمعرفة والاجتمـاع هي قوانين الطبع الحقيقية وكلما حدث التطـور من خلالها تم إفناء وإبعاد والاسـتغناء عن الطباع السـيئة والتي بمفردها طبع .

التطـــبع

تحميـل الطبع مـالا هو عليه فإمـا أن يقبله طوعاً وإما أن يَلبسـه كرهـاً، فيعيش حامله حقائق جديدة يتقبلها بكونها حسـنة ومفيدة، أو يعيشـها زيفـاً وتزييفاً بغاية خداع الآخـر أو تقليد ما هو ليس به، وشـكله صفات وطباع جديدة يمضي عمـره في حملها وقد لا يتخلص منها على الرغم من معرفة الناس لحقيقته، أما الذي يقبله طوعاً وهو مطلوب في عصرنا المتسـارع والمتفوق علينا فهو العلم والمعرفة والبحث الذي لا ينتهي، حيث يطلب منه المواكبة ومسـايرة التقدم والمتغيرات الـتي تحدث لحظيـاً والتأقلم معها، فإن لم نفعـل كان طبعنا متخلفاً وبقينـا متأخريـن، وبالرغم من غلبـة الطبع للتطبـع تفرض ظروف

التطبـــع حقيقة وجوده وضرورة اللحاق بمســـيرة الحيـــاة، ومنه يكون التطبع في حالة التطور إســـتراتيجية تقدم المجتمعات وحل المشكلات علـــى عكس ما جُبل عليه الإنســـان في مناحي تطـــور العلوم والأدوات وضرورة فهم ما يحدث، فحالة اكتساب الفرد لصفات وطباع جديدة لم تكن موجودة لديه ومحاولة التعود عليها والتأقلم معها بهدف تحســـين صورته والوصول إلى مستوى أرقى حالة إيجابية تدعو إليها التطورات العلمية الهائلة وصغر مساحات الجغرافية نتاج الكثافة السكانية الهائلة واقتراب الناس من بعضها لحد التداخل، فلم تعد هناك مســـافات بين الشعوب والأمم وكل له طباعه التي تختلف عن طباع الآخرين، ومعنى قبـــول الآخر معنى قبول التطبع وتبـــادل التطبيع من خلال اختلاف الثقافـــات واللغات والحركات والعـــادات والتقاليد، وما أعنيه هو قبول الطباع الجيدة والتطبع بها.

أمـــا التطبع بما ليس للإنســـان عليـــه والتظاهر بـــه والادعاء بغير حقيقته فهذا مرفوض وســـرعان ما ينكشف ويتحول إلى صفة تلازمه طيلة حياته، فالكاذب والمنافق والوصولي يتطبعون دائماً بطباع الادعاء بالطيبة وحســـن الخلق أمام من لا يعرفهم يخدعـــون الآخرين، ولكن ســـرعان ما يغلب طبعُهم تطبعَهم مهما طال الزمن، ومهما يكن للإنسان من طبائع واعتقد في قرارة نفســـه بأنه يستطيع أن يخفيها عن الناس فلا بد أن ينكشـــف لأن الأخـــلاق لا تُخفى والتخلق والتصنع والتكلف

لا يبقى، ومن يسعى للظهور بمظهر على غير حقيقته يسمى - علمياً- مريضاً نفسـياً ويحتاج للعلاج، وهـؤلاء الناس خطيرون وضارون جداً، فطبع الكريم غير طبع من يتصنع الكرم وطبع الطيّب غير من يتصنع الطيبة، والسـؤال الذي يفرض نفسـه هل يسـتطيع الإنسان تغيير طبعه السـيئ إلى حسـن، وما معنى أن يكون طبعـه في الأصل كاذباً، وهـل ينتقل إلى طبع جديـد هو الصدق، وهـل للمجتمع تأثير على المتطبع بأن يواجه ويرفع عنه غطاء التطبع ويعيده إلى طبعه ومن ثم الأخـذ بيده لتطوير طبعه وتحويله إلى إيجابي حقيقي، وكيف نميز بين الطبـع التطبيعي والمتطبع الصناعي؛ أي كيف نكشـف من يحمل القناع ومن يلبسـه، والأهم من كل هذا هل بالإمكان أن يصير التطبع طبعاً ؟، أسئلة تحتاج إجابات منا جميعاً، وغايتنا تطوير الطبع الجيد إلى الأفضـل مع الحفاظ علـى الأصل الإيجابـي والتطبع بالإيجابي الطبيعـي القادم من الآخر، أياً كان الـذي يتبادل معنا الطباع الخيّرة والمحبة العامل على زيادة إنسانية الإنسان ورفض الزيف والتزييف .

إن رحلة البحث في معاني الكلمات المختصة في التكوين الإنسـاني وفلسـفته عبر عمليات إظهار آليات التعمـق، والوصول لجوهرها من أجـل الحكم عليها في الظاهر الذي يتجلـى أثناء رحلة الأداء والحركات والسـكنات بهدف إعطاء الدفع لحالة الصعود والارتقاء والمسـير إلى الأمـام، وجملة مـا تحدثنا به يحمـل غاية تهذيب

الطبع والتطبع والتطبيع الإنساني الذي غدا ضرورة تُنظم النظام الحياتي، وتعمل على انحسار وانحصار الفوضى التي أخذت تسود عالمنـــا الكوكبي الحي من خلال رفض الوعي والصدام الدائم معها، وإن تطويـــر الطبع التراثي واســتقبال التطبـــع العلمي الإيجابي بكل أشــكاله والابتعاد عن التطبيع السلبي وقبول الحالة الطارئة الجيــدة منه الــتي تحقق ســلماً لا استســلاماً، وبحكــم الحاجة المتبادلــة بين الإنســان والإنســان واقترابهم مــن بعضهم وتقلص المساحات الجغرافية التي أصبحت تجمعنا بكثافة، وتسارع كل هذا يدعونا للتأقلم مع الظــروف الجديدة والمفاجئة والمبرمجة ووضع إســتراتيجيات لاســتيعاب ما تحدثنا به بكــون الضرورة أصبحت تفرض ظروف العلاقات وخصوصية اللقاءات.

التطبيــــع

طبعاً هو مصطلح جديد ولد ضمن حداثة عصرنا المتسارع مادياً والمتكاثف بشرياً ورويداً رويداً يتحول إلى مفهوم غير عادي، وأدخل إلى اللغة وأخذ يُستخدم ضمن معانيها وغايته العودة بالأشياء إلى سابق عهدها أو تركيب الأشياء فوق بعضها من أجل نسيان ما مضى وإحلال ما اتفق عليه من لحظته حيث يظهرعلى شكل قرار يُتخذ

بين طرفين متنافرين يحملان طبعين مختلفين في كل شيء، متوغلاً ضمن المحاور العلمية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية والسياسية، وكثيراً ما يتجلى حين وجود العداوة التي تكون بها كل أشكال التضاد بينهما من ترغيب وترهيب وتخويف وترويع وعداوة، والكل ينظر لهما على أن إمكانية اللقاء غير متوفرة وعن سابق إصرار ينفذان القرار المتخذ بينهما في لحظة حاسمة ويجريان اللقاءات ويقران صفحة جديدة حيث ينطلقان منها.

وبشكل أدق يعني التطبيع (الاعتياد)، أو تحويل السلوك الطارئ بكل أنواعه بعد التحضير الذهني والنفسي والاجتماعي إلى عادة تُمارس بشكل طبيعي ويتقبلها الإنسان والمجتمع والدولة، ويمارسها الجميع بشكل اعتيادي دون الالتفات إلى الوراء، كما أنها تعني الترويض وتكون هنا بمعنى التحويل من اللامنطقي إلى المنطقي وإدخال المعقول إلى اللامعقول، ومثالنا هنا الأمي ومحاولة إقناعه بالتعلم، أو تغيير عقيدة انتهت في المحيط وبقاء حاملها وحيداً فتطبيعه مع المحيط حالة تدخل في إطار ما نتحدث عنه، وبما أنها غدت واسعة الانتشار ويتم تداولها بكثرة وخاصة في مناطق الأزمات، وتطوير التخلف الحامل لمجموعة الطباع التي نشأت عليها مجموعات وأمم والصراعات الطويلة الأمد التي ولدت الأحقاد والاختلاف الحاد في وجهات النظر؛ يأتي فهم التطبيع بعد الوصول إلى نقطة الالتقاء

ليتدخل ويفرض حضوره بقوة من أجل نجاح أي آلية اتفاق، ويترتب على هذه العملية الكثير الكثير من الضيق والتململ والتلكؤ بكون ما مضى عنيفاً وثقيلاً ويكون نسيانه صعباً ومرهقاً بكونه اخترق العقل الإنساني لدى الطرفين ولذلك يحتاج لجهود مضنية من أجل تحقيقه، وعليه نجد أن التطبيع يختلف عن العولمة فالعولمة فكر شمولي والتطبيع فكر اجتهادي منحصر ضمن محاور الخلاف والاختلاف أو الحاجة إلى إدخال جديد غير مفهوم والعمل على تطبيقه والاقتناع به .

أؤكد أن التطبيع على نوعين الأول إيجابي مقبول ومطلوب في حالة طلب التطور العلمي الذي ينعكس على كل المحاور البنيوية،كما أنه مطلب عند الخصومة الرفاقية أو الأخوية أو خلاف الأصدقاء ، والثاني سلبي وهو مرفوض ذاك التطبيع الذي يشكل الفَرْض بغاية السيطرة والاستعباد والانقياد والتبعية للآخر ويكون فيه توازن القوى مفقوداً والشروط قاسية ومهينة، بهذا نؤسس إلى أن التطبيع المتوازن هو المطلوب.

الجنة والنار

تتعلقان بالناتج الإنساني وهما من نتاج أفعال الخير والشر، فالعمل الإيجابي الذي يحافظ على الإنسان ووجوده وأسباب وجوده ويؤدي

إلى خدمة أخيه الإنسان والموجودات المحيطة به ويتمتع بالسلوك الخيّر والطباع الجيدة التي تتفاعل مع الحياة بالحب والعمل وعلى إدراكه بالإيمان به من أجل إفادة البشرية، هو الذي يخلد في ذاكرة التاريخ ويؤدي إلى العالم الافتراضي في العقل ومساحته الجميلة التي نسميها الجنة، والشر يعيش في العالم المعاش يرافقنا يفني ليفنى نراه على شكل القصاص بكل أشكاله وتنوعاته من فشل وذل ومهانة واكتواء من حرقة عدم الوصول للنجاح الإيجابي يراه الجميع ويتابعونه ليتعلموا منه الابتعاد عنه وهذا ما نسميه جهنم (النار)، من هذه البداية نعتقد أنهما مكانان لا ماديان وحالتان رمزيتان الأولى (الجنة) تعيش في العقل والقلب على شكل نور، والثانية (النار) تعيش في الشهوة وتكون بين المعدة والجنس وبما أن العقل والقلب يعيشان في النور اللا مادي وبدون شهوة ورغبة فهما مركز إشعاع ضوئي لا يعرف الظلمة أبداً، وبالعودة إلى القصص الإيماني الذي حدثنا عن اللحظات الأولى لآدم وحواء وهما في جنان الخلد أي دار البقاء الأزلي الإيجابي ودار الفناء السلبية التي نعيشها من أجل الوصول إلى تلك الدار وأثناء رحلة السعي للوصول لها فإما أن نصل إلى تلك الدار أو نفنى حيث نحن ، من هنا أتقدم وأعني ما أقول: إن آدم وحواء وقبل أن يزلاّ ويأكلا من شجرة التين كانا نورانيَين أي العقل متعلق بالإله الخالق يتغذيان من نوره ويعيشان على نوره إلى أن أكلا من

تلك الشجرة فتحركت الغرائز ، كيف هذا حصل وتشكلت معها النار بكون أن أي مادة تدخل إلى الجسم الإنساني تتحرك كل الأعضاء في داخله لتعمل على هضمها وفرز الحاجة الإيجابية ليستفيد منها الجسد وطرح الفائض منها، هنا نقول: إن الجسد مثل الآلة وعندما تعمل الآلة ترتفع درجة حرارتها وحرارة منتجها، فنجد أن المعدة كالفرن الخامل ينتظر إلى أن تدخل إليه المادة فيحرقها وينتج منها الحريرات اللازمة لدفعه للحركة والفعل والتفاعل، حيث تتولد لديه الطاقة المحولة من مادة إلى اللامادة، وفي حالة الجنس فإن منتجه المنوي يخرج حاراً أيضاً حتى لعابه حار وهو نتاج ما يوجد في معدته، من هنا نجد أن عالم النار الإنساني موجود ما بين المعدة والجنس فإن خرج عن إرادة العقل النوراني لم يشبع وكلما سألته هل امتلأت يقول هل من مزيد؟، فالتوازن الطبيعي ما بين العقل والقلب والمعدة والشهوة يحكمه النوراني بكون الثاني هو بحاجة الأول أي السفلي بحاجة العلوي، وعلى الرغم من أن المحرك لا يعمل إلا بالزيت والجسم يحتاج الطاقة الحيوية التي تنتج من الطعام فهي حاجة لتفعيل دور العقل، وتأجج النار يدفئ العقل فيعمل مرتاحاً من خلال التدفؤ به، أما إن خالطه وترك للنار استباحته أحرقته وابتلعته ولم تذر منه شيئاً، لقد كان الخلق الأولي نورانياً حيث لم تكن هناك حاجة للنار حتى ظهر آدم وحواء والملائكة النورانيون. ومن هنا نبدأ حيث أن النور

الطبيعي لا ظلمة فيه، أي بمعنى البياض الصافي وبدقة الأبيض هو اندماج ألوان قوس قزح السبعة وظهوره يكون من مزيجها المتجانس وارتفاع درجة حرارته يغير لونه حيث كلما اشتدت الحرارة عليه وضمنه وتفاعلت معه غيرت لونه متدرجة به إلى أن تصل به إلى الظلمة السوداء وتحول الأبيض إلى أسود، وبما أنه في البديهية نور ومعناه الإيجابي لا خلل فيه وبدخولنا عليه نعلم أنه عالم الصفاء والنقاء والحقيقة والجمال حيث تسوده الكينونة والسكينة والألق، وبعودتنا إلى ذلك الشيء الذي تناوله آدم وحواء نجد أنه المادة الأولية التي شكلت مستصغر الشرر، الذي يعمل رويداً رويداً لتتأجج النار ويظهرها محولاً إياها إلى فعل وجود مادي بعكس النور ومحرقاً رويداً رويداً النور الذي نحمله من حياتنا المعاشة التي نعيشها ونحيا بها بشكله اللامادي وغايته الوصول إلى الظلمة .

وبما أن القوانين الطبيعية التي أنجبت الفهم الذي تطور إلى علم أوجدت له التخصصات الفيزيائية والكيميائية حيث حدد الشكل والمظهر والباطن والجوهر وعرف الشعاع وكثافة الطاقة الضوئية مع طول موجة الضوء ودرجة حرارة الجسم كي يتحدد تحديد لون الطيف الضوئي الذي يبثه الجسم الساخن فقط اعتماداً على درجة حرارته ليكون لدينا علاقة مباشرة بين درجة الحرارة التي تغير لون المادة ، وعليه يكون تأثير الضوء في الأجسام تأثيراً كبيراً من حيث

تبديل ألوانها وأشكالها فيحدث فهم أن النور غير الضوء ، واللون مادي محسوس والضوء لا مادي والنور إشعاعي إيماني يعيش في عقل وحقيقة الكون وجسده المؤمن، أما الظلمة فتعيش في المادة والأشكال المادية وحركتها المتبدلة .

لنتفق أن اللون مادي والضوء لا مادي اللون يظهره الضوء والضوء موجود كوني يحجب لحين، فبدونه لا حياة وسرعة وصوله هي سرعة إبعاد الحجاب عنه أو الستارة ، إذاً لماذا أقول هذا وما علاقته بالجنة والنار؟ نشرح بأن الضوء أداة النور ، والفعل والانفعال وإظهار الأشياء على حقيقتها هي أدوات الضوء .

إذاً، النور هو الجنة التي تسكن العقل والقلب، أما النار فهي نتاج تفاعل الأشياء مع الضوء العامل على إفنائها في ناتجها النهائي أي احتراقها وتآكلها، أي تحويلها إلى رماد أو رفات لتحمل الظلمة والسواد بعد مروره بكل التدرجات اللونية التي تبدأ من الأبيض وتنتهي بالأسود.

الآن لون المخ أبيض بكونه مخلوقاً نورانياً وطبيعة عمله توفير المناخات لولادة العقل الذي بدوره يعمل على استقبال وتحليل وتخزين المعلومات الواردة إليه من مجموع الحواس ينظمها ويبرمجها ويجهزها ويعيدها على شكل أوامر تعقل الإنسان في هذه الحياة وعبر مسيرته تقوده إلى الصح أو تنفلت منه إلى الخطأ، و بها يصل إما

إلى الجنة التي يحلم بها في عقله متخيلاً إياها بساتينَ وحوراً عيناً وأنهاراً من عسل ولبن وخمر وماء وهي موجودة في عقله، إما إلى النار التي بها درجات أعماله السيئة يستذكرها فيخافها أيضاً في عقله الباطن، وكلما كبرت إساءته كبر تخيله لها حتى يصل به الحال إلى الدرك الأسفل منها والذي يكون هو وقودها، فدرجاتها ألوانها التي تتراوح ما بين الأحمر والأسود النهائي مروراً بالأزرق والرمادي وبينهما يستعرض الأبيض الصافي فيتمنى لو تمسك به ولم يتغير نتاج فعله الحياتي السلبي، أي أن البناء الإيجابي في مسيرة حياة الإنسان يكافأ عليها بالإيجاب والاستجابة، والعمل السلبي يؤدي به إلى تغير ألوانه التي يشاهدها العقل النوراني ويحكم عليها بالاحتراق أي أنه وصل ناره واكتوى بها، وبما أن العقل يحمل عالمين: عالم طبيعي معاش وعالم افتراضي يحمله معه طيلة حياته يرافقه مع كل عمل أو فعل يقوم به يحادثه في عمق ذاته اللامادي قائلاً له هذا إلى الجنة وهذا إلى النار بكونه يعرف ما يفعل، فإما أن يصر على إنجاز الجودة بكل ما تعنيه فيكون سلوكه وأخلاقه وأفعاله وعلاقته وارتباطاته نورانية ضوئية جيدة بامتياز أو أن تكون حياته هامشية تخريبية هدامة لا أخلاقية ولا سلوكيات أمينة بها وشكلها حاسدة ومنافقة ولعوبة فيعلم حاملها أنه سائر إلى تغير الألوان ونهايته السواد الذي يعني مروره بكل تدرجات الألوان أي الاحتراق بالنار.

سؤال لماذا ارتبطت الجنة بالأعمال الإيجابية المفيدة والصالحة والإيمان والحلم، والنار أعدت للأشقياء والجبناء والمخربين والخبثاء والمنافقين ؟ إن الوصول إلى الجنة يحتاج العقل والعقل يحتاج العلم والعلم لا يأتي إلا بعد حصول التأمل الذي يؤدي إلى التعلم وتعلم السلوكيات التي تمتلك جملة اعتراف الإنسان بأخيه الإنسان، فيكون العمل جيداً لا بل ممتازاً ويحصل الحصول على الثواب وهو راحة النفس التي يطمئن لها العقل فلا يشغله أي شيء سوى أنه وصل بأمن وأمان، وهو السعي الذي يستذكره الإنسان إما من أول حياته فيسير به كي يصل إليه وهو عالمه الافتراضي الذي علم به، وإلا يكون في عالمه السفلي الذي يأخذ به إلى ناره التي يعيشها ليل نهار، وهي الاضطراب والقلق والفوضى والتعاسة وعدم رضائه عن نفسه التي تأمره دائماً بالسوء الذي سيأخذ به في تصوره إلى النار دون أن يعلم أنه بها يراه الآخرون على شكل القصاص الذي يقتص منه في مسيرة حياته ويأكله كما تأكل النار الهشيم والغث والسمين .

لقد ورد اسم الجنة في الكتب المقدسة ومنذ أقدم القدم فكان منها دار الخلد بكون أصحابها لا يخرجون منها أبداً كما أعطيت اسم المأوى بعد أن قدم الجهد والتعب وأراد أن يرتاح كما أسميت عدناً لتدل على مكان الإقامة وأطلق عليها النعيم من خلال التنعم الذي يعيشه أهلها، ففيها كل أنواع السعادة المادية والمعنوية من طعام

وشراب ومشهد جميل وصوت حسن ، وبها الأمان حيث أسميت المقام الأمين للأمن المنتشر فيها ودار السلام ليعيش فيها الجميع بسلام، ومع كل هذه الأسماء أعتقد كما بدأت بأنها رؤية لا مادية تعيش في العقل الافتراضي الذي ينقلنا إلى العالم الافتراضي لتكون الجزاء العظيم والثواب الجزيل لجملة الأفعال الخيّرة والطيبة وتعبيراً عن التعب والجهد الإنساني الكبير الذي يقوم به الإنسان في أداء رسالة وجوده والحفاظ عليه والبناء فيه وتهذيبه وتشذيبه، فمن يعمل جيداً وصالحاً يثاب والروح الخالدة تثاب بأن تطوف باستقرار جميل وهي تراقب إنجازاتها وعدم الوقوع في الأخطاء والأداء الحسن الذي قامت به أثناء سكناها للجسد، إنها وعد للمؤمنين أي لكل من آمن بحقيقة الحياة المخلوقة من كن وعمل حسناً وصالحاً له فيها مكان أمين يمنحه إياها العقل الافتراضي .

أما بالنسبة للنار التي تظهر من لهيبها وحرارتها الحاملة للإغراء والجمال وفي ذات الوقت الاحتراق والفناء والتحويل إلى رماد تذروه الرياح فلا يعرف له أثر ولا وجود بكونها تفني البقاء وتمحي أثر الوجود فتمنع الخلود، تراها الحواس وتعيش مع الجنس وفي البطون كمثل من يأكل الزقوم تتفاوت درجات حرارتها من أساسها إلى قمتها التي يمكن أن تمسها ولكنك لا تستطيع أن تمسك جمرها أو تقترب من مادياتها المحترقة، ولنا أن نعرف من أسمائها جهنم والنار وسعير

وسَقَر وهذه الأسماء متعلقة من الأعلى إلى الأسفل فنقول: نار جهنم التي بها السعير وأسفلها سَقَر وتتدرج ما بين الأحمر والأصفر والأزرق إلى أن تصل إلى الرمادي الذي يسكن في قلب الظلمة أي السواد القاتم، وتغيير ألوانها تشير إلى شدة قوتها التي تبدأ من خفة وتنتهي بالثقل العنيف المتأجج كما أنها على علاقة بالخطأ الذي يرتكبه الإنسان وتدرجه فيه إلى أن يصل عظيم فعله السيئ الذي يكون على شكل الأخطاء القاتلة فلا يخرج منها أبداً لتكون النار في انتظاره وحسب درجات فعله وأفعاله الخاطئة .

إن الخوف من النار وطلب الجنة خوف من مخلوق مادي وطلب من صورة لا مادية والمخلوق المادي دائماً يخطئ وعليه ينال العقاب، ولذلك يخاف الإنسان العقاب بكونه يدرك حجم الحرق والاحتراق بهذا الكائن الناري الذي يشعله الإنسان بيديه ويتناوله من فمه فيحرق أنامله إن لامسه ويكتوي بناره إن أكله زوراً وبهتاناً أي أنه أكل ما ليس له واشتهى مالا يملكه أخوه الإنسان بعقله فهو يمتلك المعرفة والإدراك بين الصح والخطأ وتجرأ بما يملكه على هذا أو ذاك، وله من عقله النوراني الخوف مما فعل والثقة بما يفعل وعليه يقدر مقدار ما ارتكب من خطيئة وأنه ذاهب إلى النار من خطيئته فيجلس يرتجي ويطلب إبعاده عنها معاهداً ومقسماً على أن لا يعود إليها، وكل ذلك هو نتاج خوفه من الاحتراق لذلك اقترنت النار بالخطيئة

والجنة بالعمل الخيّر الصالح وعلى أنها الثواب، ونرى الإنسان يفرح عند فعل الخير ووجهه مبيض حيث جوهر الخير أبيض ويخاف ويحزن ويكفهر وجهه يسود حيث جوهر الشر والخطأ والخطيئة أسود، وهذا ما يحدث عند النهاية وفي لحظات الانتقال الخاطف أو وهو على فراش الصراع حتى الموت يستقبل البياض وهو الوحيد الذي يعلم إلى أين هو راحل، وكثيراً ما حدثنا أناس وهم في لحظات الانتقال أنهم يشاهدون أو شاهدوا البساتين والأنهار يشوبها البياض وأناسها يلبسون الأبيض وكم رأينا على وجوههم البسمات والارتياح والتمتمات الجملية وهم ينتقلون إلى عالمهم الافتراضي عالم الجنة الموعودين بها، ولذلك نرى كثيراً من رجال الدين يعتمدون اللباس الأبيض بكونه صورة أهل الجنان، وهناك من يعتمدون اللون الأسود على أنه ظاهراً جوهره أبيض، وكم رأينا أيضاً أناساً يغادرون الحياة وهم مكفهرو الوجه لا يعلمون إلى أين هم ذاهبون أحسسنا أنهم يكتوون من خلال تذكر أعمالهم السيئة التي قاموا بها، قلقون لا يريدون التكلم ولا الكلام وهناك من يغادروننا خطفاً من دون علم أو سابق إنذار، هم وحدهم لا نراهم يرون اللحظات الأخيرة تغادر معهم رؤياهم إنه عالم موغل في القدم وأيضاً سيوغل في المستقبل مروراً من الحاضر يأخذنا معه كما أخذ السابقين وكما سيمر على اللاحقين ضمن عوالم لم يحدثنا أحد عنها ممن غادرونا، ولكن

كتبوا لنا وأنجزوا وتفكروا وتأملوا وتعلموا وعملوا كي نتابع التأمل والتفكر والتعلم والعمل وأن نترك من كل ذلك العبرة والعبر لمن يريد أن يتفكر ويعلم ويعمل من أجل من آمن وأمن كي يكون مؤمناً يؤمن بأخيه المؤمن، حسب ما كُتب في كتب القداسة والشرح والتفسير إنما المؤمنون إخوة وعليهم واجب العلم والعمل، وعليه يكون للمؤمن جنات تجري من تحتها الأنهار ولغيره النار .

الــوعــــد

لا يعطى إلا حين حصول اللطف والتودد وظهور الابتسامة الممهورة بصدق الطلب ووقوع الحاجة من يدي صاحبها وضياعها والدخول على من لديه بديلها أو شبيهها أو نظيرها، وهو قادر على الاستغناء عنها أو تقديم الوعد بتحقيقها بمقابل أو بدون مقابل، صادق مهيأ لأدائها فله الطلب يقدم ومنه الوعد يعطى وينفذ، ولذلك يكون الوعد غير الوعيد الذي يحمل الخفاء الذي فيه الأسى يظهر في وجه الانقباض والعبوس والقهر، وعليه يكون الوعد ظاهراً يشجعه القلب والوعيد باطناً يشنج العقل ويوتر الحواس ويسلب الإدراك.

الوعد شخصية إنسانية يتمتع بها الواثق بنفسه الممتلك لجملة السلوك الإنساني صاحب الوفاء والتقى ، المؤمن في جوهره المتصالح مع مظهره، فيه الإحساس بالكل فيجد إحساس الكل فيه فيكونان معاً ، يبدأ الوعد ويعيش

في داخل الإنسان ، وأول ما يعد الإنسان يعد نفسه بأن يحافظ عليها ويكون وعده حواراً ذاتياً يعيش مابين قلبه وعقله، وغايته أن يحافظ على شخصه وأن يؤدي رسـالته الإنسانية خلال مسيرة حياته، وعليه يكون الوعد غير قابـل للتنفيذ إلا إذا قـام الموعود بتقديم الجهـد الحقيقي الذي يحمل العمـل الفعلـي ليقابله والحجم المقدر الواجب علـى الموعود أن يصل إليه ليحصل على الوعد .

لا يعطى الوعد إلا للموثوق به والذي يكون أهلاً للثقة ، به الهمة والرجولة والشهامة والنخوة كي يبادله بالمثل على مبدأ الاتفاق الذي تتحقق من خلاله آلية الوعد، ويكون مكتوباً أو شـفهياً أو مودعاً عند طرف ثالث يشـهد ويؤكد عليـه ويطالب بتحقيقه إذا لم ينفـذ، وعليه يكون الصدق والكذب من أدوات الوعـد، فتخيـل إن لم تنفذ الوعد الذي وعدت به ماذا سـتحمل من صفات النعت وإذا وفيت كم ستكسب؟ .

إنه أقوى من الالتزام، وبه كامل الحرية التي يتمتع بها الإنسـان الناضج الذي يعي مسؤولية ما يعد به، ولذلك هو صعب ويقترب كثيراً من قدسية النذر الذاتي الذي يقوم به الإنسـان أمام إيمانه، أي في قلبه وعقله وعند تكوين الأسـرة أمـام زوجه وحين أدائـه لعمله بأن ينجـزه بإتقان يعطيه لمجتمعه ووطنه على شكل الوفاء له وردّ الجميل الخفي لأبويه في كبرهما، كما أنه يحمل في طياته الشـرف حيث يكون مسـؤولاً عن كل أنواع الشرف، وبشـكل أقوى بكون الشرف أيضاً من مكونات الوعد، والشرف ظاهر والوعد

يخفي الظاهر بحكم المسؤولية العقلية الناتجة عن الحجم العملي في الجملة الحياتية التكوينية.

الوعد يقوم به الجميع فرادى ومجتمعين أسراً ومجتمعات ودول، ولذلك له الأهمية القصوى واحترامه يعني احتراماً لكامل القوى الفكرية والجسدية والمادية والروحية والعلمية، وعلاقة الوعد بالحياة تتكون من خلال التفاعل والتواصل البشري، وله علاقة أساسية بالنجاح والفشل ورسم صورة الشخصية التي يقرؤها الآخرون ويحصل من خلالها إما على الثناء والمديح وإما على النعت بكل صفات السوء .

إنه قادم من الإعداد والاعتداد، فلا يمكن لأي كائن كان أن يعد قبل أن يمتلك الاستعداد والاعتداد الذي يصل بالمرء إلى الاستعداد لإعطاء الوعد ومن ثم إطلاقه بعد اكتمال كامل أدواته وإمكاناته، وكذلك من أجل أن يظهر قوياً مكتملاً غير منقوص، فلا يضعف صاحبه بل يقويه محدثاً له المكانة مقدماً إياه إلى الأمام بقوة وأنه الوفي الواثق الأمين صاحب الوعد صادق فيه محقق لمقولة المؤمن بالمحيط الكلي الأزلي «المؤمن إذا وعد وفى» .

البسطاء

أناس سمتهم العيش مع السَّراء والصبر على الضَّراء يبصرون في الخطب الجلل ليرثوا منه العبرة والعظة يربكون همهم بالسيطرة

عليه ويعتكفون أسـرهم بمحبتهم وأناتهم، إنهم متفائلون ساعون إلى مشارق الأرض ومغاربها راضون بما قُسم لهم من يسر متحملون للعسر قادمون من بسـط الشـيء، إنهم أهل إنفاق ومعروف ساعون لبسطهم وبسط المسـرة والمؤانسة، وبسـط وجهه تلألأ واستبشر، وانبسط في كلامه فصَّل وأوضح، والبسطة الزيادة والسعة، والبساط من الأراضي الواسعة ذات البساتين والرياحين وبسط الأرض افترشها، والبسطاء هم الكثرة في الجماعة القادرون على خلق المتعة من الأشياء البسيطة والبسيط هو ذاك الإنسـان المبتعد عن التعقيد في الأفكار والأفعال والممارسات، أحلامه واقعية وحركاته لطيفة ومنطقية .

إنهم يتمتعون بالطمأنينة وتسـكن أجسـادهم العفوية ذات الروحانية الفطرية، بكونهم نشؤوا من طيب وشعورهم يتمتع بالتاريخ المهم المتكون من الحضارات الرائعة منتمين إليها متواجدين فيها، فهمهم متمتع بابتسامة الكهـول الجميلة وأحاديثهم تحمـل روح وبراءة الطفولة، أجل، إنهم جمع بسيط، والبسيط من يتمتع بالبساطة، والبساطة علم الحياة وفن العيش بهـا والتعامل معهـا والتكيف ضمـن ظروفها وكل محاورها، وفهم فلسـفة الإيجابية بنعم واختصار عدم المعرفة بلا، وانتقاء أسـهل السبل للوصول لعيش كريم والحصول على نتائج يكون فيها الفوز مقنعاً والحضور جميلاً، البسـطاء يميزون بين الخير والشر بسرعة، العفوية في سلوكهم رائعة لا ساذجة ولا خادعة، والضحكة من شفاههم جاذبة، إنهم حقيقة المجتمعات

لا خيالها ولا مســحوقوها ولا ضعفاؤها فالبساطة ترفض الضعف وتؤمن بالكرامة والبناء، لذلك من ســواعدهم ومحبتهم تظهر المجتمعات ويشمخ البنيان فهم قواعد وأساسات وصروح وشواهد تتوارثهم الأجيال .

نعم إننا نخضع للنقاء والصفاء ونعشــق الســكينة والطهارة والشفافية، فلمــاذا نبتعد عن كل ذلك ولماذا لا نكون كذلك؟ فالبســاطة والبســطاء يدعوننــا لامتلاك المشــاعر وأرواحنــا تتوق للبســاطة والابتعاد عن كل مزيف وزائف، وتحويل هذا المفهوم إلى جملة مفاهيم وتعميمها والحفاظ عليها من خلال زيادة الإحســاس بها والتأمل بها نجدها أنها نقاء الســماء وقــوة رعدها وبرقها وريحها القوية والعليلة، وهي جمال البحر في هدوئه ومخيفــة عنــد انفعاله وهيجانه، هــذا المفهوم الشــديد الروعة منجب لعلاقات اجتماعية نوعية تزيد فيها الرابطة الإنسانية، فهي إطار حامل وحامٍ لكل القضايا العلمية والروحية، فبه نصل درجات من السمو والرقي والتفرد الاجتماعي ونظهر كحدث فيه يشــبه الآخرين محبب للراغبين ومخيف للموهومين المختلفين.

البســطاء بناة الأرض وقوتها الحقيقية صدق وصداقة وصديق، بمعنى أنهــم كما هم ينبغــي الحفاظ عليهم، والاســتعانة بهم يــؤدي إلى إنجاز المتراكم وجمع المترامي وترتيب الفوضى وإزالة الشــوائب، وبما أنهم أكثر من الندرة فعلى الندرة الالتحاق بالكثرة ، هذا يؤدي إلى تجانس مجتمعي ممتلك لأدوات النهوض والصعود والارتقاء.

التهــــديد

لغــة قوة وضعف في آن موجــود ضمن الطبع البشــري يبتعد عنه ويبعده الإنسان الطبيعي ويمتلكه من لا يمتلك الحكمة وقوة المحاكاة ولا يؤمــن بالقانون، وصورته حالة إظهار القوة دون التماس المباشــر وتكون إما من بعيد أو مواجهة أو من وراء موانع أو حدود، ويتحقق من خلال رســائل كتابية أو شفهية مباشــرة أو غير مباشرة أو استعراض للقوى ضمن مســافات منظورة أو عبر وسائط مادية محيطة، وعليه يكــون التهديد فعلاً لــه غاية بث الرعب والخوف في نفس شــخص أو مجموعــة أو دولة، وإيصال فكرة تحقيــق الخطر أو إيقاعه بهم أو بممتلكاتهم أو فرط عقد اجتماعهم.

وكمــا بدأت، قد يكون صريحاً ومباشــراً، كما يمكن أن يكون غامضاً ومبطناً بالواســطة والوســطاء أو رمزياً عبر الرســوم وترك دلالات مبهمة تعبر عن نية قصد التهديد وتحقيق الوصول لأهدافه.

القانــون يمنع ويجرّم والشــرع يحرّم كل أنــواع التهديد والوعيد، بكونه ينشــئ الاضطراب المادي واللامادي عند الإنســان في جملته الفرديــة والاجتماعيــة وينتهك كينونتــه المبنية علــى روح البعث والانبعــاث وتحمــل الخطــأ والصح في مســيرة حياتها ولهــا وُجدت القوانــين الناظمة لحركتها الظاهرة والقيــم والمبادئ الروحية التي

تتفاعل مع إخفائها واختفائها داخل الجسـد المادي، ومنه وله يكون التهديد أداة لاسـتعادة الحقوق أو للتسـلط من القوة الممتلكة على مقدرات الغير، أو بنيَّة الابتزاز المادي أو السياسـي أو الاجتماعي أو الأسروي، وبما أنه نوع من أنواع زرع الخوف فهناك من يستخدمه ضد الأنثى الزوجة والأبناء بالضغط عليهم وعلى آرائهم، وشكله وغايته دائمـاً وأبداً إخضاع الغير وإخافتهـم من أجل فرض الطاعة العمياء حيـث يُظهر التهديد لغـة القوة ولغة السـيطرة ولغة الحفاظ على الممتلكات، وكل ذلك ينطوي تحت غطاء زيادة قوة وهيمنة المهدد من أجل بقائه واسـتمراره، ولكن قوة الحق تلغي أشكال التهديد وتبطله وليـس هناك من مُهدِّد إلا ويكون تهديـده قادماً من خوف، وإذا تمت محاكاته بالحجة والإقناع واليقين وكان بغاية الاعتداء تراه رعديداً خائفاً يظهرعليه من شدة انفعاله وردة فعله وغضبه، كما أن التهديد قد يأتي من ضعف شـديد فمـا إن ترد عليه حتى تكتشـف ضعفه وتفكك الهالة التي كانت تحيطه أو يحيط نفسه بها.

يبدأ التهديد ويمارس لحظة ظهور الفكرة المؤثرة القادمة من كلمة الحقيقة الحاملة في مضمونهـا لغة رفض الخطأ، أوعدم القبول بلغة الافـتراء والإقرار ومقاومة الظلم وعدم الاسـتجابة للمطالب التي تحمل أفعال تغيير الحقيقة وتزوير الحقوق، ولا تتقبل لغة التطوير وإصـلاح العطب أو الخلـل، وطبيعي أن يأتي التهديـد دائماً من لغة

الخوف التي تكشــف دائماً وأبداً الخطــأ والخطيئة ويعمل على منع التقدم وارتقاء الإنسان ومساواته بأخيه الإنسان.

بالتأكيد التهديد إرهاب وعدوان على حرية الفرد والمجتمع والدولة، وهو ســلوك يعيش ضمن فلســفة القوة والضعف يمارســه الأقوياء والضعفاء وشــكله الطمع والحســد والغــيرة الجوفاء وزيــادة الملك والتملك والهيمنة والتســلط، وهو تعبير عن عدم القناعة والحاجة للاستعباد والسيطرة.

إن لغة التهديد مرفوضة جملة وتفصيلاً، إن تفهم وأدرك الإنســان القانون الناظم للحركة والفعل الإنساني فهل يحق للإنسان أن يدفع عن نفســه التهديد إن لم يســتجب القانون له؟ وبمــا أننا أدركنا أن التهديد عدوان، فهل يكون لنا الحق مرة ثانية الدفاع عنه مستخدمين فيه كل شــروط الدفاع؟ بكوننا في حالة دفاع أمام عدوان دائماً لغته التهديد والوعيد وبكل أشكال ما ذكرناه.

الرســــم

فــن لا يتحقــق إلاّ إذا توفرت الهوايــة وتدعمت بالعلــم به ، كما أنــه واحد من مجموعة الفنون الســبعة ، وينتمي في إنجازه وحياته لشــروط اللغة البصرية ، فهو لغة العين الباحثة في جملة الحياة عن

الجمال ، كما أنه لغة العقل الحامل غاية أصل الفكرة عن شيء يولد في الذات الفكرية وينتهي عند رؤية الآخر بكونه الشاهد والمُقدر للفعل المنجز المولد لترجمة كمية من الإحساس والإدراك العقلي البصري المجتمعين ؛ ليظهرا التعبير عن فكرة أو موضوع تقوم به اليد وأدواتها المستمدة من الإمكانات ، والاستفادة من الألوان وتراكيبها ، أو الأقلام الفحمية على مسطحات ، أو مجسمات متنوعة من أجل غاية مثلى وهي : إيقاظ الشعور العاطفي أو الوجداني ، أو تعزيز الانتماء والارتقاء بالإحساس ، ورفع نسبة التذوق الجمالي . ويأخذ بنا الرسم من رسامه إلى عالمه الفياض لتكون اللوحة تجسيداً لمحتواه وانعكاساً لرؤاه ، نتداوله باحثين فيه لنجد أن فن الرسم قديم موغل في القدم ، نشأ مع الإنسان الأول رافقه قبل أن يتعلم الكتابة عاش معه في كهوفه وعبَّر على الجدران والصخور عن أحاسيسه ، حيث رسم الأشياء كما رآها أو تصورها حيث عرفنا من خلالها الكثير عنه ، وهو يستحق أن نطلق عليه الفن التنويري ، الذي تحتاجه كافة المجتمعات خلال مرورها بكل مراحل التطور، فهو محرض على الإبداع ، ومزود بصري من أجل إنتاج الفكرة وتحليلها والتعمق بها، بغاية إنشاء ثقافة بحثية بصرية تعطي للمجتمعات حضوراً معرفياً راقياً .وبما أني أكتب عنه أقارب ما أفعله معه فأجد الكثير بين ما أقوم به وبينه ، على الرغم من عدم مقدرتي على فعله وإمكانية

فهمــه وتذوقــه متوفرة ، هذا يعني إن لم نُجد فن الرســم فعلينا أن نتذوقه وليس بالضرورة للذواق أن يجيده ، وبما أننا في هذا الســياق أقول وأضيف : إن القلم والأوراق هي جزء من أدواته ، حتى الســطور هي رســم أولي ، لنقوم برسم الكلمات المنسكبة من الفكر عبر القلم، هذا يؤكد أن كل إنســان رسام بالفطرة ، حتى الأمي يعرف الرسم في عقله الباطن وفكره الســاكن ، الكل يرسم ويرســم ، ولكن الرسم فن فهل نجيد فن الرســم؟ وما قصدته أن الكل يرســم : هو أن هناك من يرســم الشــر في عقله ويفعله ، ومن يرســم الخير في عقله ويطوِّره، وهنــاك من يتنقل بينهمــا ، وإذا قلنا : عندمــا تتضح معالم الصورة انتقل إلى تنفيذها ، يعني ابدأ برسم خطوطها الأولى واجمعها حتى تكتمل ، ومن ثم انطلق لتنفيذها ، وهنا يكمن الفرق بين رسم الرسام الفنان ورسم الإنسان في المجالات الأخرى .من هنا ندخل على الرسام الفنــان كموقف ، نتوقف عنده مطالبين أنفســنا وإيــاه بأن نتبادل مهمــة فهمه من خلال فهمه لما نريد بكونه الفنان ، وعلى عاتقه تقع مســؤولية هضم المؤثرات الاجتماعية والحركة الثقافية التي تُظهر العمل الفني ، وتوجد أمامه المُشــاهد المُحلل والناقد ، فترتفع سوية العمــل الفني من خلال ارتفاع ســوية العلاقة بــين الفنان والمجتمع الــذي يؤثر فيه الفنان ، ليعود مجتمعــه وينعكس عليه مطوراً إياه في عملية تبادل معرفي ثقافي ، نطلق عليها مســيرة التطور الإيجابي

التي تنطلق بهمـا لتبادل المعرفة والثقافة العالميـة .وإن الموازنة بين التراث والمعاصرة اللذين يشـكلان المشهد الثقافي ويعبَّران عن نهضته يشكلان جوهر أية أمة تكتمل عناصرها بفنونها السبعة ، التي تسهم في تشكيل صورتها المتطورة المبحوث عنها من قبل الأمم التي تهتم بها ، فتوجد لها مكاناً بين اللوحات المعلقة على جدار الزمن الذي يُسـجَّل فيه تاريخ التطور والوجود الحقيقي للمجتمعات الخلاقة ، التي نقرأ في تاريخها تاريخنا المرسوم على صخور الحضارات السابقة.إن ضرورة تعلم انفلات زاوية العين وفتحها على منابع الجمال كي تفرز السـالب وتعالجه أصبح مطلباً اجتماعياً اقتصادياً وسياسة من سياسات الدول التي توجه مجتمعاتها وأُسَرها وأفرادها من خلال فتح آفاق توفر البنى التحتيـة ،كي تقوم عليها هذه العملية التطويرية والتي من خلالها تعود لتطور اللغة البصرية للإنسـان الباحث عن الجمال ، فإذا تعلم أنه هو بـذات عينه لوحة جميلة اقتناهـا الله وعليه واجب اقتناء اللوحـات عرف أن منزله لوحة، وشـارعه لوحـة ، ومدينته لوحة ، ووطنه لوحة رسمت بها كل اللوحات بما فيها هو نفسـه ، إنه الرسـم فن من فنـون الجمال لنتعلمه أو نتعلم تذوقـه فنبدو أجمل وتظهر اللوحة أكمل .

السحر

اختصاص ضعاف النفوس المارقين من الحياة وفي غفلة منها يسترقون السمع ويسقطونه على الأفئدة الضعيفة التي تتقبله، وفي اعتقادها الخلاص به سرعان ما تجد نفسها وقد استفاقت على وهم كله وهم .

ومن قواعد الإدراك التي تؤدي إلى الاعتراف بأنه موجود عند العاقل الواثق بما يمتلك من علم وإيمان وخبرة معرفية غير مقبول كحالة قابلة للتحقيق، بكونه يمتلك علم الحقائق فيتجنب حامليه وممارسيه المشتغلين به، كما أن علم العلاقات يؤكد على أن الخير يتفاعل ويأتلف مع الخير كمعادلة خيِّرة لينجب خيراً، والشر مع الخير ينجح لحين، بكون الشر يلبس أحياناً ثوب الخير الذي سرعان ما يهترئ لينكشف الشر ويبطل الخير مفعوله ويبعده ويبتعد عنه كل الخير فلا أحد يتعامل معه، والشر مع الشر أيضاً يلتقيان فيحصل الدمار والتدمير لهما لا محالة .

إنه آفة اجتماعية ينشط في المجتمعات الخاملة والتي ترتفع بها نسب البطالة والعطالة والإدمان، فيكون لها مخرجاً ونجاة، وهو يحض على الانتظار ويوقف الحركة ويزيد في الحسد والتطلع إلى الغير، ويحوّل الإنسان والمجتمع من إنسان فاعل منتج مشتغل من أجل نصرة نفسه

وأسرته والحياة إلى شخص غير مؤمن بقدراته وطاقاته معتمد على وسواسه وعلى من يزيِّن له أن قدرات غيره ستتحول إليه ويمتلك ما يريد من الآخر الحر المتقدم إلى الحياة.

إنه فعل إنسان يحمله كمرض معه بغاية إسقاطه على أخيه الإنسان، وكل إنسان يعيش على وجه الأرض معرض لأذاه، فهو كالشَّرَك من يسقط به يتحول إلى مريض لا شفاء له، ومن يبتعد عنه قد يصبه ولكن بإيمانه القلبي وصدقه العقلي يشفى منه، لا يميز بين إنسان وإنسان مهما كانت صفاته ومرتبته ولونه مؤمن أو غير ذلك متعلم أو جاهل غني أو فقير .

السحر يشبه الانبهار، ويختلف عنه بأنه يحمل الأوهام ويضخمها ويقدمها على أنها حقيقة سهلة المنال لا تحتاج التعب بل تحتاج الانتظار، بينما الثاني يحمل العلم الذي به النور الذي يؤدي إلى النجاح تلوَ النجاح وإضافة اللبنات الحقيقية التي تحتاجها الحياة من جهد الإنسان، وكثيراً ما اتهم الإبداع والنجاح والتألق القادم نتاج تعب وسهر وألم وتأمل وتفكر وتعلم لتظهر النتيجة فتُتهم من الضعفاء بالسحر، والكثرة من العظماء والأنبياء والرسل والحكماء اتهموا بالسَّحرة ومنهم من قُتل وصُلب نتاج أحقاد ظالمة من الأشرار المتتبعين لخُطا الناجحين والأخيار، وكثيراً ما نجح السحر من حامليه في إيذاء الناجحين ولكن إلى حين سرعان ما يزول بإيمان

الإنسـان بالصح والحقيقي بما يعمل ولمن يعمـل، فيتحول المدّعون بسـحرهم إلى عواء ومواء ونباح وحسـرات فينقلب عليهم انقلاب السحر على الساحر.

عبر التاريخ ومنذ أقدم القدم لم ينجح السـحر ولا السـاحر، ولو نجح لأفاد نفسـه بسـحره الذي يسـتخدمه من أجل إفادة الآخر الذي يعمل له ويخرج السـاحر ومن يسـاعده في خسـران كبيرين، ومن أمثلة حية نرى أن الكثيرين ممن اشتغلوا بالسحر انتهوا نهايات سيئة للغاية ومن واكبهم وآمن بهم خسر خسراناً كبيراً ولعن السحر ومن يشـتغل به ، لا ينحصر ضرر السحر في الفرد نفسه وإنما يؤذي المجتمع بأكمله، فلغته التفريق والهدم والإعاقة والتخلف والتأخير، وانتشـاره في المجتمـع وتحوله إلى ظاهرة تدعونـا جميعنا لعلاجه ومكافحتـه ومطاردة مسـتخدميه، إنه أذىً كبيرٌ لقدرات الإنسـان والمجتمـع والدولة وما نـراه اليوم من تراجعـات اجتماعية وعلمية وتأخر في التطور والتقدم هو نتاج انتظار الكثيرين واعتمادهم على السـحر، فذاك يريد أن يغنى من وراء كنز يكشفه له الساحر، وتلك تريـد أن تتزوج باعتمادها على السـحر ليجلب لهـا العريس، وآخر يريـد أن يصبح مديراً فيحضر السـحرة كي يزيحـوا له المدير من طريقه، وآخـر يرغب في وزارة، وآخر يجهـد ليحافظ على مرتبته، وذاك يتشـوق للوصـول إلى تلـك الأنثى أو زوجـة صديقه وأخيه،

والــكل ينتظر، ويطول الانتظــار لتزداد الأحقاد وتنشــأ العصابات وتكثر الدسائس والمكائد وتنصب الشراك، لذلك كله يجب مكافحته ومكافحة كل من يعمل به بزيادة فرص العمل وتوفير مناخات الأمل والنجاح كي لا يشــتغل الإنســان بأخيه الإنســان، وينتبه إلى فهم ما يعمل ويرفع من ســوية نتاجه فيرتقــي به لقد صدق من قال في السحرة والسحر: » لو كنتُ طبيب الهوى لوجدتُ لقرعتي دوا».

لقد اســتثمره موســى عليه الســلام، ومعه انطلق بقوة لينتشر في كافة أصقاع الأرض على أنه كبير السحر، واتخذ شعاراً عالمياً اتصف به اليهود و به نشــروا الخوف وامتلكوا التســلط على الآخرين، لقد احتكــروا العلم وأدواته والطب ونجاحاته والتجارة من خلال التحكم بالمال وفوائده كما أنهم احتكروا الإله وشــخصوه واعتبروه صديقهم وتركــوا للآخرين عبادتــه والخوف منه داعبــوه ولاعبوه وتصارعوا معــه مختلفين تارة ومتفقين معه تارة أخرى، كلما حاولت أمة التقدم تقدموا لها على أنهم النخبة، وبثوا بهم الرعب وأحضروا عصر موسى وعصاه ونثروه بين أفرادها ليمسكوا بزمام الأمور، وتكون كل الخيوط بأيديهــم ومن يديهم يتم المنح والمنع والشــد والرخــي والثناء والذم والقدح والضرب بعصا موســى التي تتحول إلى حية تســعى في خفة اللامتناهي ومن إرادته لتسود عليهم وتتلقفهم جميعاً .

لا يوجد سحر أسود ولا سحر أبيض ،إنه السحر غايته التفريق بين

كل الأشياء ليسود فاعله ويكتسب من نتاج حاصل الفرقة .

لقد ظهر السـحر بتطور الإنسان الجليدي وبعد عبادة الطوطمية وتحول الى عبادة، حيث ساد زمناً طويلاً ووجدت له القواعد والكتب والطلاسم والحروف والقراءات وله ملوك وجنود وأتباع ورواد ومريدون وطرائق وألوان .

السـمع

بعد إنسـاني متناظر وعلاقته متممـة لنظرية الكمال الخلقي وله مرتبة ضمن الحواس الخمس الظاهرة، كما أن تأثيره على الحاستين العاقلـة والناطقـة كبير لجهة إعطائهـم المعلومات ممـا يدور على الجوانب والخلف قبل الالتفات والدوران .

وفلسـفة وجود التناظر السـمعي مـع بعدين توضعـا على اليمين واليسـار بغاية الالتقاء في العقل وتحليل الوارد من خلالهما ومن ثم تحويل السـمع إلى نطق أو إشـارة أو كتابة، ليأخذ بنا ويسجلنا على صحائف الخير والشـر أو يفرزنـا ، فإما نكون من أهـل اليمن أو أهل اليسـار، ومنه وعليه فإن السمع غير العلم لذلك فهو يرد من المحيط إلى العقـل الـذي يحاكمه ويحوله إلى علم بالشـيء، فهو بالإضافة لكونه حاسـة فهو أداة مـن أدوات العلم والمعرفة وهو ضد الصمم كما

العلم ضد الجهل .

كما وأن أهميته كحاسة تكمن في أنها تقوم باستقبال الأصوات والتفاعل معها أو الاشمئزاز منها، وتهيئ التواصل السريع بين الإنسان بمفرده ومع المجموع وتحذره مما يحيط به من مخاطر ويشكل له دافعة إلى الأمام، والسمع يختصر الكثير من الزمن في حالة الإنجاز بكونه ناقلاً للمعلومة يوصلها إلى العقل لتتسارع عملية الاستجابة وفي كل الاتجاهات .

إن ما أهدف إليه من خلال إشارتي إلى ثنائية السمع ببعديها هو الدخول إلى جوهر فلسفة السمع وليس التوقف عند الأذنين الموجودتين على جانبي الرأس كجامعتي صوت فقط، وصحيح أنهما تتمتعان بميزات متعددة: الاستراق والزنى والخبث ونقل المعلومة، إلاّ أن وجودهما كثنائية ضرورة حتمية أمام الواشين وحاملي الضغائن الدساسين والماكرين، فهما ليس أذناً واحدة بل اثنتان لتسمع من الأول ومن الثاني لتسمع من المظلوم ومن الظالم ومن المغبون ومن الغابن ومن الواشي والموشى به، فهل يكفي أن يهمس في الأذن أن فلاناً ارتكب كذا خطأً لتحكم عليه، ألا يجب أن تسمع منه أيضاً؟.

وإن إلغاء أذن يعني إلغاء بُعْد فتخيل أنك تسير ببعْد واحد، أي أنك تسير بطرف واحد ومعنى هذا أنك غير مكتمل ومعنى عدم اكتمالك أن حكمك خاطئ، وهذا يقودك لأن تحمل مسؤولية مزدوجة: الخطأ

وحملك لخطيئة؛ من خلال حكمك غير المكتمل وهذا يضعك في خانة الجاني، بالإضافة إلى أن اختلال السمع في الأذن يعني اختلال البنية الإنسانية (اختلال الجسد)، وهذا يؤدي إلى حالة مَرضيّة تفقد الإنسان توازنه وتبعده عن الحياة وعن إصدار الأحكام إلى أن يصلح خلله .

من هنا نقول: إن السمع له أهمية البصر والبصيرة (الفؤاد)، مع العلم أنه يمكن أن ترى بعين واحدة ويمكن أن تسمع بأذن واحدة بشرط أن تسمع مرتين، أي أن تستمع للطرفين كي تحكم بين الجاني والمجني عليه فمن هنا تصنف إنسانيتك وتسجل بأنك إنسان .

إن علاقة السمع في الحياة علاقة حميمية وإنجابية وإبداعية، فله مسؤولية في الحب وزيادته ونقصانه، فالصوت الجميل الرقيق ينعش العقل ويخفق القلب له ليترقق الإنسان لطفاً، فنراه يتمايل عند سماعه الأصوات الجميلة مثل النسيم ويطير محلقاً بها تجذبه إليها من مبدأ «والأذن تعشق قبل العين أحياناً»، أي الاستماع، فالأذن أداة وتتأذى الروح عند سماعها الأصوات المزعجة والقبيحة فينفر الإنسان منها.

الشيطان

إنها جدلية الحياة ومتناقضاتها التي بدونها لا يظهر الفعل الإنساني

وصوره، وتكمن ضمن فلسـفة الخير والشر والحب والكراهية والحرب والسـلم والنجاح والفشـل والإيمان وضده، لتشـكل بها فائض الوهم ومضاعفاته، يتحـرك ضمن جملة العقم الإيمانـي وفراغات البطن والاست والباه وأدواتهما ،كما أنه ضعف في إدراك ماهية المادة وجوهر العمل المطلوب القيام به من أجل تقديم نجاح للإنسان، بكونه مفرداً لا ينجح إلا بتبادل الفعل ونتاجه مع الفرد الآخر مهما كانت صفاته ومراتبه الإنسـانية ،كل إنسان له شيطانه يسكن تحت إبطه يعيش في القسم الأيمن المظلم من صدره، بكونه فراغاً مهيأً بسكناه، وبما أن الجانب الأيسر به القلب وممتلئ بالحيوية والنشاط والحب والتفاؤل فإنه يمضي عمره محاولاً التعدي عليه وتغيير سلوكه، فإذا استوطن في داخـل المرء وتملَّكه أخذ بـه إلى متاهات الوسـواس والانفعالات العنيفة والتيه في سـفر الملذات الدونية التي تعيش أبداً في القيعان لا ترتقـي أبداً ولا تنتمي إلى أي مبدأ، يتجول في داخل المرء بعد أن يتملك من القلب ويتعدى على العقل بغاية إضعاف الذاكرة الإنسانية في الفكر حيث يتعبها لتتوه في مسـاحة العقل وتأخذ به إلى فلسفة الكذب والنفاق وتصديق الكذب والانحدار إلى الأسفل .

من يصعد إلى الأعلى يرتقِ ويسمُ إلى عالم العلم والإبداع ولو حمل صخرة على ظهره أي:عالم العقل، ومن يختـر الهضاب والسهول يعش في الوجدان والحب أي: عالم القلب الذي يسـكنه الإله فيتحول إلى

إنسان، أما الذي ينحدر إلى اللذة والشهوة ففيه عالم التهلكة والأرق والقلــق عــالم التعجل والاندفاع إلى العالم الســفلي عــالم الإغراء والفتنة والخداع والمكر أي: عالم الشيطان .

إنــه وهم الواهمين وفلســفة المتقاعســين، حيث ينســبون إليه كل أشكال الخطيئة والأخطاء والممارســات اللامنطقية التي يرتكبونها، وعند سؤالك لماذا فعلتم هكذا؟ تكون إجابتهم (الله يلعن الشيطان)، في كثير من الأحيان يتفوق فعل الإنســان المتشــيطن على شــيطانه ويســأله شــيطانه: لماذا تلعنني وقد تجاوزتني كثــيراً وتفوقت عليَّ حتى إنك أبدعت في الشــيطنة وغدوت أنت أســتاذاً لي، ويصل معك ليرجوك بأن تعلمه عن أحدث الطرق والابتكارات وآليات ممارســتها ونظم تنفيذها.

يظهر بك حين يمتلكك الخوف، يتطور خوفك، يرهبك تظلم حولك الأشياء، يقشعر بدنك تحاول أن تسرع وحيداً إذا كنت تسير، وتختفي تحــت غطائــك عندما تكون في الســرير، تحــاول أن تبعده عنك في الظلمة، تغني ومهما كان صوتك حلواً أو بشعاً تكسر الأشياء تتحسس إن قام هو بكســرها، تبحث عن ظلك تجده فيه تشــعل شمعة توقد ناراً تأمن رهبتك ليســتكين خوفك، وتبدأ رحلة الابتعاد عنه، يدخل معك حمّامك يختبئ كثيراً بين فراشــك وأشيائك يستعيرها أحياناً فيغضبك يعيدها إليك بعد أن يستنفر أعصابك يشغل بالك، يعيش

بـين الكلمة والكلمـة يلعب ضمن مفرداتك لغتـك نظراتك حركاتك سكناتك، يزعجك شيء ما يتحرك ضمن هدوئك واستيعابك، يهزك يريـدك أن ترد عليه وبقوة يدعوك كثيراً لتضربه، حيث تجد أنك ضربت أحبابك، وأحياناً أن تضغط على زنادك لتقتل صديقاً أو شقيقاً أوعشيقة يقف على بابه أو بابك فتقتله، وبعدها تستفيق منه لتلعنه أي: تلعن تصرفاتك وهيجانك الذي أوصلك إلى هذه اللحظة وتستعيد معهـا كل ذكرياتك ولكن بعد فوات الأوان، الشـيطان هو ذاته إبليس ومعناه : أنه أبلس عليك الأمر ولبسـك وأخرجك من ثوبك الإنساني لترتديه فيلتبس فيك الخير والشـر وتعيش صراعك، فإن كنت عالماً عارفاً فاهماً وجدك أكبر منه كثيراً فابتعد عنك، وإن وجدك أصغر منه لبسك واخترق حُجبك وصال وجال في داخلك.

في نومك، يحضر إليك من تخمة في معدتك أو تعب منشـؤه أعمالك أو هواجـس تربك أفكارك، يغريـك بالحديث معه يطالبك أن تحكي عن قصصك ومغامراتك، زوجتك تنهض مرتعشـة تستمع عن أحدث أفلامك توقظك ينقسـم بينكما يشـعل فيها ثورة بركانك، تسـألك عـن ما تتحدث تنفي تفعّل ثورانك، يوترها أكثر، تكذبك يزيد فيك كذبك فلا تصدقك بكونها اسـتمعت إليه، ينهبها من أفكارك ينهبك ويزيـد فيك هيجانك، تطلقها يبعدك كثيراً عن وجدانك، ينسـيك الأيام والعشرة ويعود بك إلى رؤياك فتلعن كثيراً شيطانك .

إنه يغويك ويأخذ بك إلى طغيانك ويغريك ليذلّك ويجعلك أسفل ديانك، بعد أن يزين لك الخطأ على أنه صح، ويدفعك للاستمرار به والتوغل فيه كأن تمد يدك إلى مال غيرك أو تنظر بنظرة الحاسد إلى كل ما يملكه الآخر، وأن لا تمارس عملك بالشكل السليم، وأن تكذب وتسرق وترتشي وتنافق وتخالف وتختلق الأعذار وترتكب المعاصي، ومن ثم يجمعك مع عالم الفجار الذي يوصلك إلى أسفل السافلين، ويضعك ضمن خانة المسيئين والسباب والشتائم في السر الذي يتحول إلى العلن، وعندما تصحو تلعن وتلعن الشيطان.

يخاطبك شيطانك يظهر يتجلى يقرع بابك يسألك لماذا تلعن وتسب شيطانك، بماذا تجبه وأنت من أسكنه بنيانك؟ يقول لك: لا دخل لي فما تلعنه هو نتاج فعلك السيئ وما ضمرته من سوء ونفذته بابتعادك عن إيمانك بالعلم والمعرفة، ليكبر الفراغ ويكبر فيك شيطانك يفعّل حقدك وحسدك ويهيم بك على وجهك يمنعك من عدم متابعة عملك وينهي لديك إخلاصك، فإذا أردت أن تتخلص منه أخلص لعقلك وقلبك الذي يسكن فيه إنسانك .

العدوان

إنه الشكل النهائي لفعل العداوة وتحول صورة الصديق أو الأخ أو

المجتمع أو جوار أو أشخاص لا تعرفهم ولم ترهم في مسيرة حياتك أو التقيتهم، وإنجازه بلغة السلبي ما لا يتحقق بالحوار الإيجابي إلى عدو وأعداء، ومن التفكير الإيجابي السلمي إلى عدوان ذي واقع عملي متحرك شكله هجومي له غاية الإكراه أو الإيذاء أو احتلال الأرض، وفي حقيقة الأمر سلوك سلبي فعّال يسعى لسد حاجات مجموعة غرائز عدم القناعة بما يملك الآخر وفائض الجوع والنهم، وله من ذلك التخريب وتأخير التقدم، ومضمونه اندفاع يفقد فيه ضبط النفس والسيطرة على التصرفات والخضوع للنوازع الآمرة للإساءة. العدوان سلوك عنيف مقصود يصاحبه كراهية وانفعال عنيف يهدم السدود من خلال استخدامه للقوة العنيفة في إيذاء الغير والتعدي عليه، فالإنسان يمتلك فكرتي التملك والموت فإن لم تخضعا لحكمة العقل وخرجتا من دائرة الأفعال المنضبطة قادتاه إلى السعي من أجل تملك ما لا يستحق وقتل الموت المتجسد في الآخر باعتقاد زيادة الحياة، وبالتالي أي نشاط بينهما يكون اعتداء وغايته العدوان .

طبعاً، يعني الاجتياح ملقياً بالقوانين الناظمة لآليات العلاقة الإنسانية ومقدراتها ومفاهيمها الضابطة للنظم العقلانية التي تضبط الإرادة وأفعالها مستخدماً كل أنواع السلوك الضاغط ،وأدواته جملة الحواس التي تحمل أدوات العدوان وتوجهها إلى ما تسعى إليه فوائض الغرائز المتطورة والتي تحمل الجوع الدائم للاستباحة، كما

ويعتبر العـدوان من أخطر الجرائم حيث يكون جوهره ومظهره ضد السـلم والسـلام لا يعرف حرمة الحدود ولا يتقيد بالزمان واحترام الأمكنة والمقامات والإنسان .

إنه يخرق السلام والأمان ويستبق الحوار أو يتطاول عليه في لحظة بكونه يشـعر أنه الأضعف عقليـاً، معتقداً ومطـوراً اعتقاده أنه في خطـر لينفعل مُظهراً صـور الحيوان الذي ينقضُ مـن فوق الحدود والموانع استجابة لقيمة البقاء والانتصار متقمصاً صورة الحيوان كي يحافظ على بقائه، كما أن الحرمان والإحباط والضغط المضاف عند التعرض إليه ينجب ممارسـات تحمل السلوك العدواني وتنفّذ عند تطورها بأشكال متعددة، ويكون على شكل العدوان الرمزي أو الكلامي أو الجسـدي أو الاجتيـاح التدميري أو الخارجـي الموجه ضد الغير والمادة بأنواعها، واعتداء الإنسـان على ذاته السـاكنة فيه وشـكلها الإفراط في الشراهة لكل شيء وتعذيبها والاعتداء عليها بالانتحار، كما أنه يظهر هذا السـلوك أي (العدوان) والنزوع إليه نتاج الشعور بالتهديـد، وعندما يصيب فرداً أو جماعة أو أمة أو التعرض للكرامة والمبادئ والقيم لينمو من خلال كل ذلك، ويتطور العدوان، فهو غريزة تولد مع كل إنسـان تتطور بفعل الضغط وعدم تحقيق الفرد لغايته وفشله في الوصول إلى أهدافه والنظر بحقد إلى نجاحات محيطه .

كما أن تطور الأنا والتحول إلى ذات نرجسـية، وعدم ضبط الشعور

بالمسؤولية، وعدم تحمل الإحباط وتطوير النشاط الإيجابي في إنجاز الخدمات، وضعف البصيرة والتفاعل مع المعلومات، والاعتقادات الخاطئة؛ وانتشارها من فرد إلى أسرة إلى مجتمع يطور القسوة التي تتحول في اللاشعور إلى عدوان يتحول عند البعض إلى فن شكله إيذاء الآخرين، وبما أن الطبيعة الإنسانية تحمل جوانب خيرة مضيئة وجوانب سوداء مظلمة، فإن ضرورة تطوير المعرفة وعلوم السلوك الإنساني، وتحويل القوانين الناظمة للعلاقات الإنسانية بكل أشكالها الفردية والاجتماعية والدولية إلى معلومات مبسطة مفهومة بين الإنسان وأخيه الإنسان من أجل إدراك الحقوق وما له وما عليه يبعد العدوان ويخفف من نسب حصوله .

العلم والدين

حوار كبير ننشئه بغاية إيضاح المعاني وتحقيق الأماني وتحويلها من رموز معقدة إلى مؤكدة ، مفاهيم مبسطة قابلة للتركيب والبرمجة والإنتاج من خلال توفير شروط الدعوات وتهيئة قواعد المماحكات والخروج من خلال المحاكمات بنتائج تفيد إنسانيتنا ، وتواكب مسيرتنا وتطوراتها واتساع ذاكرة العقل التي فتحت لها الآفاق ، نظراً لارتقاء البصر وامتداده وبمساعدة من البصيرة التي تفاعلت

كثـــيراً ، وانتبهت لما يحيط بهــا ليتولد من اتحــاد البصر والبصيرة الإدراك الأكبر لمســاحة الموجود والوجود والأفق والآفاق، واتحادك مع الموجــود الذي يفهمك الوجود لتحصل على علم المعلوم ، وبدونه لا وجد لك ولا وجود وهذه دلالة على أنك به موجود.

إن ضرورة الدخول على المسائل الاصطلاحية والخروج منها بإجابات تتوافق مع الكثرة العاقلة يؤدي إلى نشــر التوافق الإنساني بتقريب وجهات النظر، والانتقال إلى تقوية البنيان الفكري للإنسان وحمايته من التضاد المؤخــر لعملية مواكبة التطور وحــدوث الإنجازات التي تفيد من الإنسان الإنسان .

بالطبــع حوار إشــكالي أحمل معه أســئلة أبحث فيهــا عن إجابات أرضيكم أولاً وأرضى عنها، ربما نختلف وأخطئ وأصيب وأرجو المغفرة إن أخطأت وتطوير الصح إن أصبت ، فما سأطرحه ليس بعيداً عنكم ولا غريبــاً مني بل هو مكنون في داخلي وعمقي كما هو بينكم مثلكم مثلــي أقترب معكم منه أي: من العلم لأعلم ولن أدركه في كماله ، بل جزئيــة من اختصاصاته بكون الكــون محيطاً علمياً ، ويعني هذا لي ولكــم أنه فوق كل ذي علم عليم يعلــم ما نعلم أي: أنه إذا كان العلم الكبــير ونعلم منه الجزء اليســير كنا منه جزءاً بــل جزيئاً نحاول ونجهــد لكي نكبر مــن علمه وبعلمه ، ونتطــاول علّنا نصيب النجوم بالسلطان والذي هو (العلم) .

إن صــراع الشــك واليقين يقتـرب مــن تـوافقية واختــلاف العلم والدين، و به سيكون لنا شروحات ومفاهيم حول التعاريف والأدوات الحاملــة والمحمولة لهذا العنوان الكبير الذي به أبدأ الســؤال هل العلم أكبر أم الدين ؟ ....

وهل النور يأتي من العلم وبما أن « اللّه نور الســموات والأرض» هل نستطيع أن نقول: إنه المحيط العلمي وهو كامل الموجودات والخلائق والمخلوقــات ؟ ومنه ندخــل إلى هذا البحث الــذي يمنحنا كل هذه الأســئلة مولداً منها وبشــكل دائم كل الأســئلة ، وعليه أيضاً نسأل هل يؤدي العلم بالشــيء إلى الإيمان به والتمسك بمقوماته؟ومن ثم يتطــور إلى يقين فتثبت الرؤية من الفكــرة التي تحلل فتنجب فكراً تتحول إلى علم يؤدي إلى تحريض المادة الجسدية، بكونه ممتلكاً بها فيعمل بما ولد في داخله ويظهره ويسير به وكأن به أنجز مصباحاً له ينير مســاحة الظلمات المحيطة حوله ، فيعمل بما امتلك على ضوء المســاحة المنارة منه الــتي ولدت حكمة «إن العلم نــور وضده الجهل والظلمات» ، والنور دائماً مفتاح إن امتلك فُتح به لنكتشــف الحقائق ونعمــل بنهجها ، داخلين إلى النــور متحولين به ومعه إلى نور فنكون مثلــه نوراً صغيراً ضمن النور الكبــير أي علماً يبدأ من العلم الكبير ويظهــر النور الكبير محيطاً بالنــور الجزئي الذي نتمثله إن امتلكنا العلم وندرك « معنى نور على نور» .

لنتخصص بالسؤال الذي أكتبه الآن: هل الوجود الكوني وجود علمي شديد الدقة أنجب روحاً وأوجد لها نواظمها؟ ولن ندرك تطور أبعاده الحقيقية المنظورة وغير المنظورة التي وجدت من أجل النمو الفكري الإنساني إلاّ بالاجتهاد والبحث والتقصي ، وغاية التوجه إلى منهل العلم بكونه محيطاً واستيعاباً أن المحيط هو العلم الأكبر المطلق الكلي الأزلي الكامل الذي حقق الأشياء كلها رسمها صاغها من مبدأ إرادة كن، ولكن بقدر، أي: بأبعاد وأحجام وأوزان ومواصفات وصفات وأجناس وأنواع وكلها كانت على شكل التمام في كونٍ نحن منه وبه نسبة وتناسب ووفق وتوافق ، كي ننظر ولا نكون في حالة انتظار أي: أن السير إلى الأمام ضرورة وصيرورة من سيرورة العلم الأكبر الذي يدعونا إليه تأملاً بعد حدوث اتحاد البصر والبصيرة ، وتفكراً من عقل قدره الوعي كي يحدث العلم بالتجانس .

هيا بنا نعرّف العلم مما عرّفه الأقدمون والأوسطون والحاضرون المحيطون بنا محاولين أن نوجد بين هذه الزحمة فهماً مضافاً إلى الموجود ، أقول : العلم القدرة على فهم الموجود في المحيط والوصول إلى أسباب وجوده ومعرفته وإدراكه ليحدث عندك علماً تستفيد منه وتفيد به ، ومنه أضيف أن العلم لا يعرف بل يدعونا إن أردنا امتلاكه للبحث فيه وعنه ، ومعرفته بكونه المحيط الموجود معنا وحولنا وفوقنا وتحتنا ويكفي أن تبصر

وتفعل حواسك كي تقول إنني بدأت أعلم فإذا وصلت فقد امتلكت طرفاً من العلم ودخلت في لغة أعلم.

ما معنى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ، واطلب العلم من المهد إلى اللحد ، واطلب العلم ولو كان في الصين، وقل رب زدني علماً ..؟هنا أتوقف لأسأل مرة أخرى وأقول : ألا ينبغي أن تعلم عن ربك حتى تطلب منه ألا يجب عليك أن تدخل المدرسة طالباً أن تتعلم لتحصل على جزء من العلم وتتخصص به ، ومدرسة الحياة أليس من الضروري أن تنتبه لها كي تفهمها وكونك ألا يغريك كي تتأمل به ؟

إذاً ، طلب معرفة الشيء أو المادة يؤدي العلم بها والسعي له يقودنا لتكوين الجزم في الاعتقاد ، وبالتالي يوصلنا بالتعمق إلى اليقين وطلب إدراك المجهول والبحث في علمه كي يغدو معلوماً هو البحث بالوصول إلى العلم ، وإن تحديد الغاية التي تريد أن تصل إليها تدعوك للعلم بها ، فالعلم في تعريفنا هو الصواب وإصلاح الخلل ولا يتم ذلك إلا بإدراك فهم الشيء واستيعاب حقيقته .

لنتفق أن العلم هو الكبير والمحيط ومهما بلغنا من العلم نصل إلى نقطة تعيدنا إلى البدء ، أي إلى النقطة التي يجري فيها البحث بكونها تشكل الباب المغلق أمامنا وعلينا أن نفتحه ، ولا يتم ذلك إلا بامتلاك أدواته التي تتجلى في المفتاح الذي يؤدي إلى إنجاز علاقة (الفتح) من التأمل والتفكر .

بهذا نصل ونحن نسأل ونبحث ونتشاور عن العلم ووجوده وبأننا لا يمكن مهما فعلنا وعرفنا وتعرفنا أن نختص به لأنه الكبير والمحيط ونحن نقطة من بحره ، فإذا انفصلنا عنه ومهما تجولنا باحثين ففي مداه منتهى أمرنا أي : أننا عائدون إليه ، فكما بحر الماء ومحيطاته لن ندركها أي: أننا لن ندرك العلم في جملته ولكن يمكن أن نتخصص بجزيءٍ منه لأننا لا نستطيع حمله ، هذا الجزيء لنفترضه ذرة ، إن درسناها تأخذنا إلى عالمها ، فتارة نراها نووية وهي على تنوعات ، وتارة نراها معدنية وهي على اختلافات ، وتارة نراها صخرية ولها أشكال ، وتارة نراها كيميائية تقبل التركيب والاتحاد ، ونصل بهذه الذرة التي تعادل نقطة أو قطرة في نهاية بحثها إلى توقف حيث نجد أنها ولدت ذرة فيكون العود على بدء ، ولذلك نقول «رب زدني علماً».

لقد احتاج الإنسان منذ البدء الموغل في القدم لبصره وبصيرته وسمعه وباقي حواسه ، فلقد كان العقل بكراً وذاكرة فارغة ، ومع رحلة تجواله في المحيط الغني الموجود والوجود ، أخذت حواسه تقدم له الغنى وبدأ يعلم ، وأنشأت له فكراً سكن العقل وبحث عن آلية إشعال النار، وعندما التهبت، دارَ حولها طافَ وخافَ مدّ يده فأحرقته فعرف بعقله أنها تحرقه ، واتجه إلى الريح وبتكون الخوف منهما أخذ يبحث عن الأقوى ، وتفكر ونظر إلى الأعلى وراقب حركة

سمائه ونجومها فرأى الشمس والقمر حيث أذهلته حركات الظهور والاختفاء والنور والحرارة والظلمة والضوء ، فكان له أن بدأ يسجل الليل والنهار، وعرف الشمس والقمر والنجوم، وتعمق متأملاً بفكره وبصره وبصيرته تلك الأشياء فرآها منتظمة دقيقة في حركتها وفعلها وغاية وجودها ، ومنها نظر إلى داخله واستمتع به وقال : إنني مخلوق وحولي مخلوقات وكلها معي تخضع لمشيئة الخالق ، وتابع وقال: أمام كل هذا إنني مدين له وعلى عاتقي يقع رد الدين، وما بين المدين والدائن وُجدت الشرائع الناظمة للعلاقة الإنسانية الإنسانية والإنسانية الحيوانية والإنسانية مع الطبيعة ، وبالتالي العلاقة بين الخالق والمخلوق فهي دَين أوصلته إلى دِين أي: في معنى أدق أن تدين له بدينك .

في اللغة ، الدين من دان أي خضع لمشيئة وتديّن تجمّل بدينه وتقلد دينه وكلما تمثل شروط دينه الجميلة ظهرت إنسانيته وحولته إلى متدين به ، وللأمانة هذا اجتهاد فردي مني وفي اعتقادي أن الكثيرين اجتهدوا ليعرفوا الدين وأنا أقول : إنه يخضع بشخصية المتدين فهو الذي يعرف حقيقة ما يؤمن به ويقبل أن يتدينه بعد أن يتولد في داخله العلم والمعرفة عنه ، وهناك من حاول أن يعرف الدين من منطق الإيمان ، وآخرون من منطق الروح ، ومنهم من حاول أن يؤمن في الإلحاد ، وهناك من بحث فيه على أنه ظاهرة فلسفية

طبيعيـــة ما وراء الطبيعية اجتماعية أو نفســـية، وهناك من نظر له على أنه منظومة ثقافية تخص الإنســـان وحـــده ، ومن فهم العلاقة الإنشـــائية للإنســـان والتي تتضمن المادة والروح احتاجت المادة عقل الإنســـان واحتاج الدين قلباً يحتويه ويصدقـــه العقل ، وفهم الدين بالإحســـاس أي : الانتباه إلى الوجود والموجود أوصل الإنسان بعقله العالم لفهم الإله أو الخالق أو الرب ، وكان هذا احتياج الإنسان للحب الخفـــي لا للخوف الظاهر، فالحب الخفي يكون لمحبوب خفي مجهول يعيش في حنايا ومكونات الجسد ويأخذ شكل المقدس الذي يلجأ إليه عند الخوف الظاهـــر وارتكاب الخطايا بحق أخيه الإنســـان والمرض وطلب الشـــفاء من مقدسه الخفي ، كما طلبه عند عجزه عن تحقيق طموحه العلمي ومقدرته للســـيطرة على طبيعته والقوى الطبيعية الكونيـــة المحيطة بـــه ، نصل إلى أن نقول : إن العلم ولد شـــعور عدم الاكتمال ، لأن العلم مادة فاحتاج الإنسان إلى إحساس وشعور، هذان المتممان خلقا شعور النقص في العلم فكانت الروح داعمة للعلم ومانحة له قوة التحقيق وهي على شـــكل دين ليؤمـــن بها ، فكان الدين الذي تجلّى في لحظة العجز الإنساني بعد امتلاك كل القدرات المادية .

وإن الإحساس بأن الوجود وجود دقيق ومتناسق وغيبي ويفوق قدرة الإنســـان في مجموعـــه ، وإنه أزلي باق وإن الإنســـان متجدد أخذ به علمياً للاقتناع بنظرية الصانع والمصنوع فكان الخالق في عقل الإنسان

وقلبه صورة مخلوق ، حيث ربط هذا الإنسـان علاقته بخالقه الذي خلقه وشـكل له بالاتصال اللامادي مجمـوع الإجابات حول نظرية خلقه وأثناء مسـيرته وتوزع البشر على الكوكب الحي ظهر كم هائل من أشكال الدين، وكانت ديانات ومفاهيم وثقافات اختلفت باختلاف البشـر ثقافيـاً وفكرياً وجغرافياً ، وانتشـرت على مسـاحة الكوكب واعترفـت بالروحي ورفعته فكان تنزيلاً ووضعته واعتبرته فلسـفة ومنهم من آمن بها ومنهم من اختلف عنها ، وعليه فقد انطوت كلمات الديـن على كثير من الدلالة والإشـارات ودخلـت إلى جوهر المعاني مبتعدة عن شـكل الأواني ومن حمل الأوانـي لم يحمل علم المعاني ، ومنهم من فهمه على أنه عادة فيها شـكل العبادة ، وحصر نفسـه في شكل عبد أمام المعبود ومنهم من صمد شكله أمام المصمود ، بينما هو داخل متداخل غايته تهذيب الروح والداخل الإنساني ليفيض عطفاً ولطفاً من أجل أخيه الإنسـان ويزيد فيه الإحسـان من أجل الجماد والحيوان ، والدين لا يمتلك التسـلط بل يمتلك السلطان ، والسلطان هنا يعـني العلم ومن يمتلـك العلم بجوهره يجد الإيمـان صورته ، والدين اسم لكل ما يعتقد بإيمان كأن تقول هو ديني ومعبودي .

وديـن ، ثلاثية الأبعاد ففي بعدها الأول تأخذ شـكل دانه يدينه وفي بعدها الثاني تأخذ شكل دان له ودان به وفي بعدها الثالث تأخذ شكل ملكه وساسـه وحاسـبه وجازاه وكافأه فيكون هذا البعد معنى

الجــلال ، والدين في علم الــروح قســمان: الأول اعتقاد يعيش في الضمير والســر ، والثاني هو فعــل وقول وعمل ينبئ عما يدين به الإنسان ، إنه اختصاص إنســاني بدأ من دان يدين ديناً ودينونة ، ودينونة تعني الكم النهائي الذي يخضع له الإنســان لا نقض فيه ولا استئناف فهي الحكم النهائي الذي يصدر على مجموع نشاطات الإنسان التي تدل عنه.

أعــود لأقول : إن الدين هو حب ما يتصوره الإنســان محبوباً له، وهو الخشية من الخطأ أمام المحبوب ، وهو ضد الخوف عند العالم بكونه معرفة وطلباً علمياً بغاية الاستزادة العلمية والمعرفية لفهم المحيط الكامل الكلي بكونه عائداً إليه ، فمنه بدأ كي ينجز إيجاباً ويســجل في رحلته إنجازات فإذا عاد إليه حمل معه أسماء ونتائج إنجازاته صوراً لا مادة .

إذاً، أنت أنا هو أنا أنت هي وحدة واحد فيها اتحاد كلنا فماذا يعني لنــا أن نكــون في كون كن فيكون لنكــون ، إنه الغائــب الحاضر العلم المحيط بنا، فكيف لا نكون له كي يكون لنا نســتدين ديناً به دين أي يفتــح لنا الآفاق لنعلم ونتعلم ونعرف، ومن ثم نعترف فإن لم نعترف يكون علمنا لا نعلم أي لا يعترف بنا، وإن علمنا وعملنا عرفنا وتعرف علينا فأين نحن من الكلي العلمي ، يدعونا لننهل منه ســقيا معرفة وعلم وغرفة من محيط ماء به حياة هل نريد أن نحيا فنحيي ونغادر

ليحيوا؟ هــو الاختيار للخيار على مســار الحقيقة التي نبحث فيها عــن حقيقة وجودنــا بالعلم ومن ثم المعرفة، فالمعرفة شــاملة والعلم تخصصي فهل نتخصص لنعــرف أم هل نعرف لنتخصص؟ هي وحدة منجبة من علاقة ثنائية وكل ثنائية لها نتيجة مختلفة مهما حاولنا الابتعاد عنها نجد أنها تجبرنا لناتج، هذا الناتج إيجاباً أم ســلباً هو اتحاد العالم بالمعلوم فتكون النتيجة علم يدين لما يعلم .

هــو العلم يجذب العقــل إليه يســتدرجه رويداً رويــداً ليولد به الإذهــال، علــى الرغم مــن أن العقل هــو الذي يســتوعبه وينجزه ويســجله ليؤمن به بعد الدخول إلى جوهره ورؤية عوالمه وتركيباته وتأخذ به تفاعلاً يظهر الحب الذي بدونه لا يتكون الإبداع ، ولمجرد نشــوء علاقة الحب تحدث الخشــية من الخطأ أمام ما يحب ويظهر معنى «إنما يخشــى الله من عباده العلماء» والخشية هنا هي حماية وتقدير عال لما يحبه العلم بعد أن علم قيمة ما يحب، فخشــي عليه وخبــأه في مكنونه الذاتــي ورآه في محيطه وما فوقــه وما تحته، أي أنــه عرف وعلم أنه لن يقدر قدره فأخــذ عهداً في عقله وقلبه أن لا يرتكب أي خطيئة باتجاهه وأن لا يتحداه .

إننــا في عصر العلم، وحاجتنا إليه أصبحــت ضمن حقيقة الوجود فبدونــه لا حياة والعودة إلى الوراء تعــني الانتهاء والبقاء في المكان، والانتظــار يعني التخلــف والتقوقع والانحدار ، هو هكذا مســاحة

كبيرة فيها كل النمو والسمو والارتقاء وإذا استجبت له ولبيت النداء آمنت به ودنت له ليعطيك القدرة والاقتدار ويزيد في دينه لك بدون حساب ، إنه دين الإنسان ودنياه التي يبحث فيها عن مكان خير يعطيه ليرد له العطاء مساحات فائدة له وللآخرين .

الفقراء

يتشكلون من جمع فقير الذي تظهر صورته من الفقر، ومعناه العوز والحاجة وبمعنى أدق يعني الفقر الشق والحز والحفرة التي قعرها في الأرض،أي دون المستوى المطلوب ومنه تبدو الحاجات التي تنقص الإنسان على شكل الإلحاح بكونه محتاجاً إليها، وتحز في نفسه وتقطعها إن لم يحصل عليها وتحفر بين أضلاعه الهم والاضطراب وحلمه بامتلاكها من أجل الارتقاء في حياته والوصول للشكل الأفضل. وإذا عدنا إلى الفقراء نجد أن كل من يفتقر إلى شيء ينتمي إليهم شكلاً ومضموناً، نصل إلى قول تعريفي للفقر: إنه عدم القدرة للحصول على الخدمات الأساسية أو هو حالة الحرمان من المزايا أو الركائز التي تتوفر بين المجتمعات، وتشمل ضعف القدرة على السعي الفكري وتجمّده عند حدوده الضيقة وانحصاره بها، والتي تمنعه من الرؤية والتأمل والتفكر في واقعه الذي يبدأ تغيره من ذات الفرد

وعلاقته بالهمة الدافعة لتحسين الوضع، فإذا انحصر فيه تحول إلى آفة اجتماعية ووجب معالجتها بعد دراسة سماته وأسبابه التي أدت إلى تشكل حالة الافتقار مشكلة الفقراء .

وليس فقير المادة هو المقصود هنا، فهذا ليس عيباً، فإذا ما حاول واجتهد وصل إليه وامتلكه وامتلك معه الإيمان الحقيقي بكونه يمتلك الكرامة التي تدفعه للبحث عن السترة والاحترام، فلذلك يبقى محترماً في مجتمعه بكونه يؤمن بأن دوام الحال من المحال والمحال آت لا محال، ومسيرة الزمان أعطتنا من قصصها ما يكفي للعبرة والاعتبار، وعكس ذلك يدخل في إطار التكبر الذي فيه الإذلال والاستذلال وهو الشكل المرفوض في فقر الفقراء الذين تنبذهم مجتمعاتهم، بكونهم يشكلون العالة والعبء الذي يجب مكافحته والتخلص منه .

بعد هذا الذي استعرضناه ندخل على قصدنا، نشرح فيه وندل على معنى الفقراء الذين نأتي عليهم ونذكر أنواعهم، ومنهم فقراء الأخلاق والسلوك الذين ينتشرون في الأرض وتلفظهم مجتمعاتهم، يحاولون إثبات وجودهم الذي لا مكان لهم بينهم ومعهم فقراء الفكر الذين لا يُسخِّرون فكرهم للنفع والإرشاد بل يستخدمونه في النقد والإفساد، وفقراء المعاني يظهرون في شكل الأواني الجميلة وهي فارغة يفتقرون إلى المباسطة والسرور بالرغم من جمال المظهر

متكبرين متعجرفين مناظيرهم ضيقة لا ترى أبعد من المساحة التي يقفون عليها ويتحدثون فقط بما يملكون، نظراتهم للحياة قاتمة متشائمة وهم بين أوانيهم يدورون، أما فقراء المباني فهم يشبهون كثيراً فقراء المعاني، المظهر بلا جوهر، والمشهد عنوان أجوف طبول فيها رنين الصواني .

الفقراء لم يُخلقوا فقراء بالفطرة، وبالنظر إلى الإنسان تجده إنسان عقل فيه التمام وعلاقة الغنى بالفقر هي علاقة استثمار العقل وتفعيل الاستثمار وإدراك التحول من الفطرة إلى العلم والسعي لتحقيق الحلم .

الفقر والفقراء موجودون في عالمنا الأزلي ومنذ أقدم القدم وإلى ما سيأتي من الزمن، فعالم بلا فقراء عالم غير واقعي، وفلسفة الواقع القائم على المظهر والجوهر تطالبنا بتحقيق الأحلام المقنعة ودراسة الخيال الحي منها وإبعاد الطوباوية عنها، ودراستنا تشكل دعوة لتحليل الواقع، ومعالجته غدت ضرورة ضمن النظم الاجتماعية التي يجب أن ننظر إلى رؤاها بواقعية، حيث بدأ الفقر والفقراء ينتشرون ويستشرون وبكل أشكالهم التي ذكرتها في مجتمعاتنا وعلى أطراف الأرض قاطبة، فإن لم ننتبه فنحن سائرون وبالرغم من كل العلم الممتلك لنغدو فقيرين وفقراء .

القراءة والتأويل

لا تتـــم إلا بامتلاك أدواتها التي نرتبها فنقــولُ أولاً : البصر وثانياً اللمس وبينهما يكمنُ الســمع فاعتمادها الأساس على البصر ، بكونه القاعدة وشواذُّه اللمس (عند المكفوفين) والسمع عند المتلقين، غايتها فهــمُ المادة المطبوعة أو المكتوبة وقدرتها أثناء إجراء عملياتها تحليلُ المعاني وتحويلُها بكونها مضموناً لا مادياً يســتفاد منه في الاســتزادة المعرفية وتحويــلِ القابلِ منها إلى مادية ، بمعنـــى أدق قدرتُها على فك الرموز المتخفية ضمن الأشــكال المكتوبة ، والتي هي نظامُ حروف هجائية مرتبطــة مع بعضها لتحدث قراءة لها صوت وشــكل لغوي ، وبمــا أن القراءة حالة تبــادل التلاقح الفكري بغايــة إنجاب المعرفة المفيدة تتجه من شــكلها إلى مضمونها ، متحولة إلى اختصاص تفرد به الإنسان الذي تمتع بميزةِ التصور وتحويل الصورة من خلال وجوده العقلي الذي مكنه خلال رحلةِ التطور الزمني من الوصول إلى عملية التدويـــن ، والــتي أعادته في إنجازه الأولي وخلقــه لعملية الكتابة ، إلى تعلــم القراءة المكتوبة، وذلك كلــه تم بعد أن تحولت القراءة من عقليـــةٍ قلبية بصرية . ومَثلُنا في ذلك (اقرأ والإجابة ما أنا بقارئ) هذا يعني أن القراءة تتجه وتؤطر نفســها تبعاً لما يقدم لها أو تتفكر بــه فتتعامل معه ، وغايتها الرئيــس في ذلك الاطلاع وامتلاك الحيّز

المعرفي الشـامل كي تقوم بعد ذلك بالتعامل معـه فتأخذ منه النوع وتطـرح الكم ، هذا يعـني أن القراءة تُحدث مهـارةً ذهنية إذا كانت العين متفهمةً في حركتها لما تقرأ .من هنا ندخل على القراءة محاولين التعـرف على أهميتهـا وإدراك ضرورة تعوِّدها واسـتخلاص النتائج منها. وإن اعتماد القراءة على البصر الذي يجولُ الكون لينقل ما فيه مدونـاً إياه بارتباطه بالبصيرة هو الذي يُنجز المطبوعة التي تحقق لنا الأهداف وتتجه بنا إلى مساحاتها وتعَوّد اختيار مصادرها .

إن التسـاؤل المشـروع والمهم الذي يتمحور الآن بيننا هو أهمية دور القراءة وحاجتُنا إليها وإيجادُ الطرق الواقعية والحقيقية لانتشارها، فمـا نراه اليوم ونحن (أمة اقـرأ) (وفي البدء كانت الكلمة) يحق لنا أن نسـأل السـؤال الكبير (أين نحن من القـراءة ؟) فما نراه من صـوم فكري كبـير وجري وراء الاسـتهلاك الذي نحـن غدونا منه حوّلنا إلى مسـتهلكين ومسـتهلَكين، مهملين للجوانـب الفكرية التي بهذا الإهمال نبتعد كثيراً عن إنسانيتنا التي تقربنا من بعض وتزيدُ الاتصـال وتنجز التفكر الذي يتحول إلى فكر ليكتب ويقرأ ، ويصبح علماً يسـتفاد به وعملاً يراه الآخرون يُبصر التطور فنتطور جميعاً وتتحول الصورة إن تحققت إلى صورةٍ ثقافية راقية هي صورة الفكر والمعرفة تتجلى في أي عمل منجز وحوله أي المحيط .

إن ضرورةَ الاهتمام بالقراءة وضرورةَ أن نولي الاهتمام بها يعني لنا

أن نبحث في مسـتوياتها وتقسيماتها وأماكن انتشارها بكونها تتنزه في المجتمعات البشـرية لتجول عقولهـم، أي أنّ عقولَ الناس كالحدائق مـع القراءة تـزرعُ في عقل كل فرد وردةً جديدة أو شـجرة تثمر بعد حـين ليكتمل البسـتان العقلـي ويفيضَ ثمـراً ويحـوّلَ القارئَ إلى شخصية مثمرة، وظهوره بالشكل الحامل للثمار مطلوبة بكونها تتمتع بالواقعية المطلوبة من الآخرين وترسمُ على فكره تنوعَ السمات التي منها يبـدو حيادياً ولـه روح النقد البناء وومض العيـون القادم من الاتقاد الذهني.

إن القراءة وبعد أن دخلنا إلى عالمها وحاولنا الدخول إلى مسـاحات معرفتهـا وتحديد مصادرهـا والتعرف على مسـتوياتها والإفادة من معاييرهـا ، يجب أن نحترم متلقيها بأن نقدم له المسـاحةَ المعرفية بهـا ، وذلك بأن تكـون معلوماتها ذات تأثير إيجابي ، ولا يتم ذلك إلا بتطوير الأسـلوب والفكر للمقدم والمتقدم اللذين ينحصران في المادة الـتي بينهمـا (القراءة) حيث تكون لغة الجمـع، فإن لم يكن بها لمعٌ ذهبت أدراج الرياح ، فهي أولاً وأخيراً بعد إنساني إن تم تناوله بشكل فهمي وقراءة موضوعية ، أدى إلى تجديد الرسـالة الإنسـانية التي حملها الإنسان على كاهله من أعمق أعماق التاريخ وإلى ما سيأتي من الزمن وهو في حالة الوجود .

أما التأويل الذي يقع على القراءة لا يجب أن يشكل التحريف ، إنما

لــه الحق في الدخول على النص وقراءته معرفياً من وجوهه الأخرى وأبعاده المتعددة، فكل يعلم أن الكلمة مكعبية الشكل بكونها تُرسم على السـطر لتصبح مجسـماً له أبعاده وحروفه وتوازنُه، من هنا يحق لنا أن نتعمق في الكلمة شـكلاً ومضموناً ونحللها بغاية إنجاز فهم جديد لهـا ، ومن هنا نقـول : إنها تحمل وجهين أو أكثر ، وهذا تأكيد على أن التأويل يجب أن ينحصـر في الرؤى الجديدة ليتحول إلى الإبداع أي بمعنـى أدق : أن نعيد الدخول إلى معنى النص ضمن فلسـفة المظهر والجوهـر . فالقـراءة الظاهرة هي ثقافة وجوهرهـا المعرفة واتحاد ظاهرهـا مع جوهرها يؤدي إلى فهم القصد مـن القراءة، هذا الفهم يقـودك لعملية تفكر تنجب رؤيةً جديدة تُلبس النص جمالاً مضافاً إلى جماله في رؤيـة بصرية ثانية؛ تحافظ على روح المعنى ولكن من زوايا وأبعاد أخرى حيث تشكل لك صورة الاكتشاف تقربك من عملية إبداعية فريدة .

إن التأويل بمعناه الدقيق يشـكل القراءة المنتجة ، فلا يتم إلاّ بعد استيعاب النص وحصول الحالة التنويرية التي تنير الأبعاد الدلالية المقصودة فيه ، وتحويل القراءة من شـكل مكتـوب إلى لغة ملفوظة فتظهر علـى أنها جمل عقلية غايتها توليـد نصوص جديدة تحمل في طياتهـا رؤىً نوعية لهـا خصوصيتها ضمن جمـال النص المقروء، وإنـني لأعرّف علاقـة القراءة بالتأويـل وأقول : القـراءة التأويلية

هـي إظهار الهوية الرسمية لمفهوم القـراءة وأيضاً أدخلها ضمن إطار فلسـفة المعاني، أي إعادة قراءتها بشـكل جديد متطور مع الحفاظ علـى جوهرها ، هذا الجوهـر الذي هو في الأسـاس روح الكلمة ولنا الحق في تنوع الجسـد والملبس ، وإنني لأقول : إن التأويل إن كان فناً وهو فن فيجب أن يتمتع بالجمال ، فإذا حصل كان له الحضور ويجب أن لا يعني التأويل صرف اللفظ عن الحقيقة ، ونحن نسأل ويحق لنا مناقشة النص الممتلك والإدلاء بشهادتنا بصراحة منطقية هل يفيد النـص الحقيقةَ ويخدمها أم يفيد الباطل ويصرّ عليه، وبهذا تتجلى صورة اللغة القابلة للتأويل ويظهر الحقيقة والمجاز فنقول : إننا نقف مع التأويل إذا خدم الحقيقة والمجاز .

إن للتأويل كلَّ الحضور التاريخي وهو ليس ميزة أو تعريفاً مختصراً، بل قاعدة لها مؤيدوها ولها معارضوها فهو موجود في علم الكلام وبين اللفـظ والنص بين القراءة والكتابة، إنه جزء من فلسـفة الكلام وله علاقة بعلم المنطق، ونجاحـه مرتهن بإيجابية فهم الدليل وتطويره وفشـله بتحويله وصرفه عن الحقيقة، وجعله في مستوى الاحتمال الذي لا يكتمل إلاّ بعد تحويله إلى حقيقة.

إن عملية القراءة اللغوية المتفهمة للنص تظهر في شكل المنتج المعرفي الفاهم لكمال إحداثيات هذا المنتج، أي لغته الكلامية المكتوبة حيث تُحدث تطويراً ناتجاً عن عملية التأثر الفني والسلوكي لبنية النص

والتي تتجه من الشكل الخارجي رويداً رويداً إلى شكله الداخلي (أي جوهره) فتحدث الإدراكَ والربط وتنقلك إلى فضاءات القراءة،وترسم لك مفهوم القراءة العام حيث تخلق وتقرب الصيرورات الاستكشافية والاستنطاقية فتفهم وتتفهم بنية النص، ومن هنا تأخذ بك إلى تحليله وتفكيكه مروراً بالتداخلات الفكرية التي تحدد لك مستوى التأويل ، وتدعوك لأن تطرح رؤيةً شمولية جديدة، قد تكون هذه الرؤية منحصرة في جانب من جوانب النص أو في خلاصته لتولد نصاً جديداً في قراءة نمطية تُمثل الصيرورة المتكاملة ، مبتعدة عن القراءة غير الفهمية والتي تقف عند القراءة الاطلاعية فقط ، وهذه لا تستطيع أن تعطيك هويةً للنص المطلوب، فالقراءة الفهمية المعرفية التي تحلل وتفكك وتدون وتؤوّل، تشكل دورة معرفية متكاملة تسهم في تقديم رؤية جديدة تُطرح في نص جديد يطلبه الآخر من أجل القراءة وأيضاً يكون قابلاً للتأويل .

إن أمة لا تقرأ حياتها ضعيفة مفككة وأمة تقرأ هي أمة الحياة والاجتماع والثقافة بعلومها الإنسانية والمادية.

القناعة

قال الكثرة: إنها الرضا بما قُسم لك وإنها كنز لا يفنى، وأضافت الندرة

فوصفتها بأنها المساحة الكبرى للتملك ومن الندرة ننطلق لنؤكد أنها فعلاً كنـــز محيط أنت تمتلكه لا هي تمتلــكك، ولذلك يجري البحث الدؤوب عنهــا نحتاجهــا دائماً وأبداً فــإن وصلناها أوجدت لنــا الراحة والثقة ومنحتنا شخصية العاقل الواثق الأمين الذي يؤتمن، وأخذت بيدنا إلى طريق الحق والحقيقة وطالما نســعى لها ونأخذ بأنفســنا إليها شارحين عنها معانيهــا ومؤكدين على تعاريفها الكثيرة ، فإذا كانت عند البعض النصيــب والحظ وعند آخرين الاجتزاء اليســير من الأغراض المحتاج إليها وترك الحرص على اكتســاب الفائض الذي ليس لك فإننا نقول : إنها ليســت الاقتصار على الكفاف وليست هي مدعاة لسكون الجأش ولا مبطأة للهمة ولا تدعو للبــلادة، إنما هي حالة إدراك عقلي تحضر من الفعل الإرادي كي توقف وتلجم الأفعال التســلطية واللا إنسانية ومن مثال حياتي ننطلق محدثين عنه لتكون فيه العبرة والتفكر:

كان صديقان مســافران وإذ بهما يجدان في طريقهما كنزاً وقررا أن يتقاسماه مناصفــة واتفقا أن أحدهما يحضر وســيلة لنقله والآخر يحرســه، وفي طريق الأول دخل الطمع إليه وقرر أن يقتله فاشـــترى شــراباً ودس الســم في داخله، بينما الذي يحرس أيضاً دخله الطمع وقــرر قتله، وكل واحد خطط للفوز بالكنز، وفور التقائهما قام الأول بقتل صديقه وحفر حفرة أخفاه فيها ، تعب وعطش فتناول الشراب المسموم لينتهي الاثنان بانتهاء القناعة لديهما.

مـن هنا نقول إن القناعة تشـكل البركة والإيمان بالشـيء، كما أنهـا العهد والميثاق وعـدم الطمع، وفيها يجد الإنسـان حريته التي تعترف بحرية الآخر فيما يمتلك ويتمتع فتشـكل له العز بامتلاكه إياها وتخلصه من العبودية للمادة والشهوة والطمع، إنها راحة النفس واطمئنانها والنوم العميق الذي يدفعك للنهوض في اليوم التالي وأنت بكامل قوتك ودون قلق .

هي تخص الإنسـانية وتتخصص في الإنسـان لا في البشـرية التي تستبيح كل شـيء، فإذا امتلكها الإنسان شكلت له رافعة وأعطته من صورتها درجة ومنحته السـمو والارتقاء لتملأ قلبه طيبة وتعزز فيه الشكر والمديح وتدعوه للعمل المنتج المنجب وتظهره بحقيقة الغنى لا بخيالها وشـكلها، وتعزه مبعدة عنه الذل وتحببه بروحه وذاته بانية فيـه روحانيته، فيحبه الناس وتنشـئ له هالة حوله يكون شـكلها الألفة ليغدو أليفاً .

إن القناعة على درجات فأقلها الرضا فيما سـنح، وأوسطها الكفاية بـلا فضول ولا زيادة وأعلاها الوصول لما يريد بعقله وقلبه وإمكاناته ومقدرته على صرف نفسه والتعرض لمن سواه ولما يمتلك غيره، ومنها وعليهـا تكون لها القدرة على المنح والمنع، فـإذا أدرك أن فيها الراحة والسـلامة والاطمئنان وعلم ما يمتلك من النعيم وفهم أن التأمل بها يدعـوه إلى النظر إلى من دونه فعرف مرتبته ابتعد بها عن الشـهوة

الــتي فيها محاولة اســتلاب ما للغير دون وجه حــق ضعيفاً أو قوياً، فتدين له الدنيا من رضاه الذي اقتنع به وأدرك معها أنه مهما امتلك من قوة الذكاء وكثرة الحركة وسعة المعرفة لن يتحقق له شيء إن لم يمتلك القناعة والنية الصافيــة لأن حياته تتزن باتزانه، فالقناعة توازن وميزان واتزان ومبدأ مهم من مبادئ الحياة الأخلاقية .

النحــــت

يختــص به إنســان ويحمل اسمه نحــات بكونه يمتلــك موهبة تحويل الرؤية البصرية إلى شكل مجسم ثلاثي أو سداسي الأبعاد أي جزئي أو كامل ، مستخدماً به مجموعة انفعالاته التي تتجمع في أعماقه ويرسلها إلى المادة المقابلة له فيراها تعيش في أعماقها ، يستخدم أدواته البصرية واليدوية مع معداته ليعمل جاهداً عليها بغاية إزالة كل الزوائد والترسبات والتراكمات التي أخفت عنه ما يراه وإظهارها كقطعة فنية ثلاثية الأبعاد تحار فيها وتنتظر منها حركة أو نطقاً وبالتأكيد لن تفعل ، تشــعرك أنه بإمكانك أن تزداد جمالاً معها فهي تحاكيك من جمالها وشكلها وقوتها .

بالتأكيد هو فن يختلف عند تحقيقه عن باقي الفنون المسطحة مثل الرســم والتصوير، فهو الذي يرسم ويصور ويلمس ويستمتع

بصرياً وفكرياً وروحياً بــه ، وحاجته للبصيرة أي التدقيق فيما يراه البصر امتيازاً مضافاً عند الإنسان الفنان النحات حيث يرى تمثاله أو منحوتته ضمن الكتلة المادية (حجر أو خشب أو معدن) فيعمل كما تحدثت على إخراجه وتوليده ضمن عمليات قيصرية ليضعه في متناول بصرنا مضيفاً إلى الجمال جمالاً يقترب به من أي عمارة إلهية موجودة بين الموجود ولكن دون روح ، وإنك لتجد فيه اتحاداً مدهشــاً بين ثلاثية الرسم والتصوير والعمارة فترى الإبداع قريباً منك .

لقد عشــق الإنســان ما نحت ، وفي الوثنية الأولى نحت وعبد نحتــه ، وقبلها نحت كلمتــه وحاكانا بها لنعلــم عنه كيف كان ، فكان أن تعلمنا من نحته على ســطوره ما لا نعلم ، وعندما نؤكد أن هنــاك طرائق لقراءة الكلمة التي تعيش بالفكر تخرج ليراها البصــر رسمــاً أو نحتاً أو في كتاب ، فالعــين أولاً وأخيراً هي التي تقرؤها وتشــير اليد المنجزة لها علــى أنها منحوتة تحوز الجودة أو الرفض. والنحت الفعلي في اللغة هو أن تنحت من الجملة فعلاً يؤدي في النهاية إلى تحقيق مضمون مؤثر في الحياة الإنســانية، وهذا يأخذ بنا إلى أن تعلم نحت الكلمات يؤدي إلى إيصال الفهم كي ينجز بســرعة (وهذا يعني لغة الاختصار كي تقدم ما تريد بشــكل دقيق). وبمعنــى أدق هو أن تنحت مــن كلمتين أو ثلاث

كلمــات كلمـــة واحدة وأن زيــادة الكلام الــذي لا معنى له متعب ومؤخــر ويظهر صاحبه على أنه متأخــر ومتخلف ، فما معنى أن يقوم الفنان النحات بإزالة المتراكم والزائد المضاف الذي لا معنى له عن منحوتته كي تظهر، وما معنى أن يصقلها ؟ فإذا تلمســتها أدهشــتك رقة ملمســها ، إنه كالقصة المحكيــة تُختصر في مثال يبقى كالتمثال أو روايــة مأثورة تبقى في ذاكرة الأجيال، وبذلك يكون لــه علاقة ليس فقط بالبصر وإنما بالســمع والقياس، أي قياس العلاقات والحوارات وفهم الإشــارات ليكون بذلك مقترباً مــن البداهة والســليقة في آن ، وإن تعريفي لــه وربطه مع اللغة بكونه موجوداً في أصل اللغة على أنه النشر والبري والقطع ؛ ولما كان التشابه مع فن النحت المنفذ مع مواد خشب وحجارة ومعادن يحدث التشــابه والتداخل ما بين الإنسان والمادة واللغة وأدواتها فيكون الاقتراب مــن القول الكريم (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين) من هنا نصل إلى أنه فعل الحب تصويراً ثم رسماً عقلياً تنحته في قلبك ووجدانك ليعيش أبداً ، كما الأوابد تســتمر بنا حتى الآن وإلى ما ســيأتي من الزمن ، وفهمه كأسلوب ونهج يعني أن لا نكــون جميعنا فناني نحت وإنما فناني إنجاز فالمنجز يبدأ فكرة وينتهي عملاً مشاهداً مثل عملية نحت التمثال ، كلما فهمنا عملنا وغاية إنجازه بشــكل جيد يعني لنا أننا نحاتون نفهم فن

نحت الفكرة كي تكون تمثالاً يفيد منه الآخرون ، وننطلق في عملية نحت فعلي لا وصفي ولا اسمي ولا نسبي ولا حرفي ولا تخفيفي ، فتثبيت الوجود بذلك بين الموجود ، ونظهر جوهر فلسفة النحت في التكوين الفكري .

الأمانة

شخصية إنسانية، تعتبر من أعلى مراتب الصفات التي حينما يتمتع بها المرء تعطيه لقب الأمين الذي يحمل مسؤولية رعاية الأشياء المادية وغير المادية، إنها تعيش ضمن جملة السلوك ومعها يتطور الخلق محدثة التخلق في صورته التي يحبها الناس مطالبين أن تكون بينهم دائماً وأبداً، وعلى اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ومعتقداتهم حيث بها يبتعدون عن مرافئ الفساد وبؤر الفسق والسقوط فيه ومستنقعات الخيانة ومهاوي الغدر، كما أنها عنوان كبير لنجاح الإنسان في مجتمعه وصورة جميلة تظهر السمو الأخلاقي وتحدث للمرء تمايزاً وتجعل منه وبه صفة تربطه بالعهود والمواثيق .

الأمانة دلالة الاطمئنان، وأهم علامة للإخلاص في العمل وصدق الحديث وحسن المعاملة، ظهرت من كل ما تؤتمن عليه قليلاً كان أو كثيراً، تتطور مع حياة الإنسان بكونها موجوداً فطرياً في داخله،

لاتنتهي حتى حين تنتهي حياة الإنسان، حيث تبقى متداولة تتحدث عنه من خلال حديث الآخرين الدائم عن أمانته، ويغدو بها مثلاً حياً فلم تخضع للنسـب أو النسبية فإن انتقص منها الشيء ضاع صاحبها ، لذلك ولدت من مصدر أمان، والأمان قادم من الأمن فيكون ضد الخوف وبإعدام سـبب الخـوف يتفاعل الأمان من خلال الأمـين المتحول إلى مأمون، وعليه يكون في الاسـتطاعة والتقديـر القدرة على أن تأتمنه علـى مالك وأهلـك وحياتك وحقوقـك وحقوق الغير وعلى أسـرتك ومجتمعك ووطنك.

مـن هذا كانت خصلة الأمين من الأمانـة الحافظة للحقوق، وتضيف لصاحبها لقـب العفيف الحافظ لحق غيره يؤديه دون النظر إليه مع إحساسـه بعدم التهـاون فيما اؤتمن عليه أو تفريـط به محباً صادقاً صدوقاً ، لذلك وجب اسـتيعاب أسـس وقواعد معنـى الأمانة وفهمها وإفهامهـا، على أن لها الأهميـة الأولى في إنجاح العلاقات الفردية أولاً والأسـرية ثانياً والمجتمعية ثالثاً، كونها مسـؤولة عـن أداء الواجبات الحياتية، بدءاً من مسـؤولية الفرد عن ذاته وعلاقته بنفسه، ومروراً بالأداء العملي المعيشي وانتهاءً بتقديم النصح والإرشاد للآخرين وكل مـا يمتلكه الإنسـان من معرفة وعلم ومال أمانـة في عقله وقلبه، وهي تمتد إلى كل ما يصل إليه النظر ويتبادله البشر، وبالتأمل بها نجد أنها فعل عظيم الشأن إن أديناه جيداً حقق لنا الخلود المادي واللامادي .

الأمانة صعبة، وبما أن الإنســان امتلك العقل رضيها بعد أن رفضت حملها كل الموجودات،وصعوبتها تكمن بأن الإنسان لديه نزعة التملك، هذه النزعة تعيش في الإنسان الذي به الخير والشر تتجول بينهما، فإن لم يســتطع السيطرة على شــرِّه ، التهمها وتناسى تأديتها وأساء إليها، وبما أن النفس أمارة بالســوء وبهــا الإغراء والتعدي والفجور، فإن لم يلجمها ويعمل على تطويــر الخير وزيادته من أجل إبعادها أوصلته إلى الطرق المســدودة ووصفته بالخائــن والغادر وهي عكس الأمين صاحب الأمانة .

لقــد أجمع الجمهور على قيمة الأمانة وأهميتها في حياة الناس، وإن أي تقصــير في عمل مطلوب أو أداء محســوب أو علم مكتوب أو علاقة نزيهة أو سرّ لم يحافظ عليه أو تكليف يكون المرء به مسؤولاً ولاينجزه كاملاً يعتــبر انتقاصاً من قيمة وقوة الأمانــة ويظهر صاحبها المؤتمن عليها غير أمين .

الأمانة تمنح دفعة واحدة في حياة الإنسان، يحملها ويجري بها بعيداً يعمل ويجهد ويضطرب ويفرح ويســعد ويشــقى، وهــو حامل لها، فإن أدّاها وهو يمر في كل الظروف والفصول أسعدته وجعلت من أرذل عمره أســعده طيبةً واحتراماً وقدراً وقيمــةً، وإن لم يفلح بها أنهته وأدخلته إلى صالــة عرض فيلــم حياته، وكيف تعامل مــع الأمانة التي ارتضى حملها وماذا فعل بها تتركه مغادراً إياها حزيناً كئيباً .

كل منا لديه أمانة فليسـأل ولمـرة واحده كيف يتعامل معها، وأين هو منها هل هو دون مستواها، أم أنها معه مخلص لها تعلمه أنها مخلصة له الأمانة أيها الإنسان فلنكن أمناء .

عش كما تهوى

وإني لأدعوك وأنت تسـير بعيشـك أن تفهم هواك الذي فيه رغبتـك ، أن تعيـش لتهوى الهوى الواهب لك لـذة العيش ، فهل تعيـش لتهوى أم تهـوى لتعيش؟ هي رحلة البحـث عنه وإدراكه الذي يأتيك دون أن تدري ويتداخل معك كما الهواء تستنشـقه ولا تعلـم ما هو مصـدره ، ومهما حاولت أن تعرفـه لن تطاله إلا بعد أن تقع فيه ويهوي إلى أعماقك مثل النجم إذا هوى من علٍ، فإذا اسـتفقت متمايلاً تجد نفسـك والهوى في وحدة لا انفصال لها ، تحدث نفسـك سـائلاً أين أنت ، فتعلم أن القرب والبعد لم يعد يعني لك شـيئاً طالما أن الجوى قد تولد من الهوى وانفعلت وتفاعلـت به وعمل بك عمل الأيام لتعيش معه سـعادة وجراحاً ونواحـاً وقيوداً لا تنتهي ، فهـذا هو هوى الهوي الذي يكون أهل لـذاك ، أما الذي ينتهي فهو هـوى الهواء المتجول ما بين الأرض والسـماء ، لا يثبت ولا يتداخل بل يمر مر السـحاب لا الغمام ،

فالغمام يتثاقل ليهــوي ويحدث الهوى فينجب ويتعلق ويتخلق ، أما السـحاب فتذروه الرياح متنقلاً ما بــين الضباب والغمام ، من هنا نجد أن الهوى يجتمع ليهوي فيكون ازدواجاً هوياً وســرعان ما يُكتشــف صاحب الهوى من كلمة أهــواه وأهواك وإذا نطق بلا حرقــة الجــوى كان كالرياح بلا مــاء وعند قول أهواه يُشــعرك بهواه المرتبط في دائرة قيدت قلبه هاؤه وتحول إلى اســتحالة في الانفصال عشقاً بكون الهاء دائرة الهوى تلفه فيكتمل به .

أجدني أطيب للهوى فهل يطيب لي وأنا الذي ما عشت إلا هاوياً له ، محكوم به أهواه في صحوتي ومنامي ومسيرتي وانطلاقي من مكانــي ، فهل يهواني ؟ يا أيها الهــوى صحبتي وندامتي ومدامي يا ســكني الذي أبنيه كي يكون فيك منامي ، هل تهواني قبل أن أهوي بك فأصبح على ما أمســيت هاوياً ، أم أنتظر جرف السحاب أم أعــود لألفي يومي وقد غدا دون اهتمام بالهوى ، فلا يكون لي عذر إلا إن كان معي هواي الهاوي ، فإن كنت في الهوى مذنباً دون أمــر فكيف يكون عــذري في هواي الذي وجــدت به عمري ولذة خفق الفؤاد ؟.

أمــد يدي أجــد الهوى لُطفاً يمــر بها عطرٌ ورفــقٌ ومنديلي بها يجفــف عرق اللقــاء الخجول والحانــي ، وأملكــه لحظة النهي والأمــر وبدونه أكــون قفراً، يا ملهمي أريــد عيش الهوى والهوي

به ، وبعده فلتكتبوا أن الهوى وجدني ووجدته ، وبما أن له الأمر فإنـــني أدعوكم لتهووا الهوى ، فإذا هويتم نجحتم فلا يمكن لأي باحث عن نجاح وفي أي مجال إن أراد الوصول له يصل ولكن بدون إبداع ، أما إن نال بحثه أي: علمه هواه حاز النجاح وتفوق ووصل مرتبة الإبداع الذي لا يتم إلا باتحاد العلم مع الهوى .

إذاً ، اهــو كمــا تريد أن تعيش بعيداً أو قريبــاً من أجل أن تدع بصمة ، فكل من هوى الهوى ســجله التاريــخ ، ولم يمحه الزمن، أما إذا عشــت لتهوى فستهوي وإنك لن تصل وتبقى دائراً في فلك البحث والتقصي دون جدوى فهواك يريد عيشك لا عيشك يريد هواك .

لماذا دمشق

هي الآن والأمس القريب والبعيد اللا متناهي في عمق الزمن كما هي الغد القادم وبعده وكل المستقبل اللامنظور، لتبقى دمشق وأبوابها المشرعة تدل على الطرق القادمة إليها تستقبل كل الساعين نحوها والحاملين لها الخير والحب وحتى من يحمل الشر تتبدل رؤيته قبل الوصول إليها ، تستقبلهم وَتَعدُهُمْ وَتُعدُّهُمْ بأن يكونوا ويصبحوا منارات وأعلاماً تسجلهم في سجلاتها،

فإذا رجعوا وانتشروا أناروا طرق العودة يرافقهم محبو الأرض والسماء والإنسان، نعم هي علم رمز يقصدها كل من يسعى إلى سمو وارتقاء، وبها تتغير رؤيته أو أفكاره وبشكل مفاجئ وربما غير متوقع، فإذا رأيتها كانت لك الدهشة عبر مسيرها وما يحدث معك ولك، وهي تُسَرِّع لك حدوث الأحداث تحقيقاً لوصولك لغايات عليا وسامية، والأمثلة كثيرة وكثيرة وكبيرة حتى على الدنيا في جمعها ومجموعها، فما إن نسمع عن إبراهيم عليه السلام حتى نعلم أنه أول بناتها، وكذلك حال الإسكندر المقدوني، ومن ثم شاول الذي حمل الحقد وسار به وإرادته قتل أهلها الطيبين، وقبل دخولها وبمئات الأمتار عن أسوارها يسقط على الأرض ويفقد بصره ويعمى يتقدم إليه صحبه ويُنهضوه ويدخلوا به دمشق ليستقبله القديس حنانيا معمداً إياه بالمحبة، فيبصر ويؤمن في عقله وقلبه ضمن رحابها برسالة المحبة التي نبتت من رأس الكنيسة المقدس يوحنا المعمدان يحملها بين جنباته وينطلق من نافذتها فوق باب كيسان إلى العالم أجمع مبشراً بها، كما زارها الرسول العربي محمد عليه السلام ووصل إليها مع عمِّه ليستقبله الراهب بحيرا ويشرح له معنى الزيارة ويرجوه أن يرجع بابن أخيه فيسأله لماذا ؟ ويجيبه ألا ترى علامات النبوة ترافقه، انظر إلى الغمام كيف يظله وإلى خاتم النبوة في كتفه،

إن رآه اليهود قتلوه كما حاولوا قتل بولس الرسول قبله بعد أن آمن واهتدى فيها . أجل هي دمشق بكنائسها ورهبانها ومساجدها وأئمتها ، يعود إليها ومع الألفية الثانية بولسها الثاني يوحنا في رحلة الحج ويسير على خطى بولس الرسول بغاية حمل المحبة في رسالة إلهية خفية وظاهرة ليعود بها ويخاطب العالم أجمع إنها دمشق، ومن دمشق الحب أنطلق إليكم وأنشره بينكم .

نعم هي دمشق، عظماء التاريخ عاشوا بها وواكبوها : خالد ابن الوليد، الشيخ محيي الدين بن عربي، والأب توما، وابن عساكر، وصلاح الدين الأيوبي، ومرقص ومتّى. هي وتد من أوتاد الأرض الرئيسة حملت غنى الشرق العظيم الغني بالروح والمادة والإنسان، ويعلم العالم أن بولس الرسول هو شاول اليهودي الذي اعتنق المسيحية آمن بها في دمشق، وليعلم العالم أجمع أنها دمشق مالئة الدنيا وشاغلة الناس ، فلماذا هي هكذا ؟ معادلة صعبة بالتأكيد فكل هذا الغنى الروحي المعرفي الإيماني الذي وصل بها إلى الأندلس برمتها وجبال البرانس، ودانت لها شعوب وقبائل، وآثارها شواهد عليها لماذا هي ؟ إذاً دمشق سؤال كبير يجب أن نتوقف عنده بكونه سيحدث فينا التغير الكبير، كما أحدثه عند من ذكرناهم وذكرهم التاريخ وخلدهم وضمهم في حلهم وترحالهم، ونعيش فكرياً مما اعتاشوه وعايشوه في دمشق

السورية القادمة من آشور التي تطورت لتكون آسور آسوريا ونقول إنها دمشق سوريا الأرض والإنسان وفكر الحقيقة وحقائق الفكر، لذلك ومنه وعليه تتغير الرؤى والأفكار عند معايشتها وفهمها ولكم فيما أقول التفكر.

الإرهـــــاب

شكل من أشكال الاعتداء المباشر العلني أو التخطيط الخفي غايته إنجاز فعل الخوف الممنهج وتحريضه في داخل الخصم الافتراضي وإسكانه ضمن الذات الإنسانية، يرافقه أعمال عنف في المحيط المقصود إرهابه والضغط لتحقيق أهدافه مستخدماً تنظيم القصد العمدي ومستعيناً بوسائل يكمن في طبيعتها إثارة الرعب، ويكون على نوعين روحي إيماني وبشري مادي، فالروحي المقدس أبلغنا عبر تعاليمه المذكورة في الكتب المقدسة المنزلة ودعانا لتهذيب النفس وإصلاحها وتطويرها حيث يشير إلى الأفعال الخاطئة وعدم ارتكابها قائلاً (وإياي فارهبون) أي خطاب إلهي مباشر بكونه يخاف علينا أي على إنسانه من خلال الحب الكبير الذي يُكنه له وإرادته منعه من الخطيئة، وإذا مارسها الإنسان يكون به القصاص ليري أخاه الإنسان أن له على فعله العقاب ،

أما المادي أي المتعلق بالبشر ومن يستخدمه فهو فعل لا أخلاقي يجهد ويضغط مخالفاً الأفعال الإنسانية الحاملة لفكرة الوجود وأسبابه الساعية للحفاظ على كرامة الإنسان وزيادة اجتماعه والتقائه ، ويتحقق على يد فرد أو مجموعة من الأفراد تشكل الاختلاف في المصالح والعقائد والسلوكيات، ويسعى دائماً من خلال أفراد أو جماعات تعمل لذاتها، أو تكون مرتبطة ومنفذة لأوامر قادمة أيضاً من أفراد أو جماعات بغاية تنفيذ سياسات ضغط اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو روحية متعاكسة مع ما تسير عليه رؤى الاستقرار ضمن برنامج تختلف معها عليه .

بالتأكيد، إن الإرهاب ضد الأمان والأمن والطمأنينة والاطمئنان، قادم من مصدر أرهب يرهب إرهاباً (ورهب أبلغ والإرهاب الخوف والرعب والرَّهب الويل)، وما بدأنا به من تعريف له يكون مرفوضاً اجتماعياً وأخلاقياً كحركة وفعل، وفي القانون يُجرّم من يفعله ويمارسه بكونه خالف أساليب الاستخدام الطبيعي للتبادل المعلوماتي ولغة الحوار في الاختلاف التي تنجب الحلول ومنها تكون صحة ونجاح العلاقات وبها يحدث التطور ليظهر التطوير.

إنه الرسائل بكل أشكالها، مضمونها كلام أو فعل خطر وعنيف، تحمل أسلوباً جنائياً غايته التأثير وتغيير الكثير من القضايا أو النتائج أو حرف الاتجاهات أو لفت النظر إلى واقع ما، وكل أشكاله

مرفوضة وتحاربه الأفراد والمجتمعات والدول بكونه أسلوباً يلجأ إليه المنحرفون والمنشقون عن مجتمعاتهم والمشعوذون وأصحاب منع التقدم وزيادة التخلف وفرض الاستعباد، كما يلجأ إليه أولئك المؤتمرون بأوامر تشكيل الحالات الإرهابية من خلال الحركة والنظر وحمل الأسلحة وإظهارها والتبجح بها، وأنهم قادرون على استخدامها وفي أي لحظة وأمام أي فعل لا إرادي أو إرادي بدون معرفة الأسباب ، الإرهاب ليس المتفجرة والمسدس أو البندقية فقط، بل هو أيضاً الكلمات النابية التي تحقر الإنسان من أجل الضغط عليه لا أكثر، وشخوصها الذين يستندون إلى قوى تمنح فعل الاستباحة وغايتها إنشاء الخوف وبث الفرقة وخلخلة المجتمعات المنتظمة والمحبة والمحببة وخلق هاجس الحيطة والترقب، بالتأكيد الإرهاب مرفوض جملةً وتفصيلاً لا تستسيغه الروح الإنسانية ولا يقبله العقل إذا ما تمت محاولة حصاره واختراقه، وعندما نتحدث عنه نثبت أن الإرهاب الفكري ينشئ انفلاتاً وعنفاً مضاداً، لذلك تكمن خطورته دائماً في حالات الانفلات الناشئة عنه، ومقاومته تكون بالوعي وزيادة الوعي، وإحداث المحاكمة العقلية بين المقبول والمرفوض وتحليل النتائج وإبعاد وفرز الحوار السلبي مبكراً كي لا تتكون البؤر الفكرية أولاً، وكي لا تنتشر لتتحول إلى آلية

تعمل على تشكيل الرفض المنجب للخلايا أو تحويل السلطوية إلى تسلط، الإرهاب ليس سلوكاً يُكتفى بالنظر والإشارة إليه، بل ينبغي تحليله والتعمق في أسباب تكونه والبحث في سياسة المصالح الفردية والاجتماعية والدولية، فهناك من يتبنّاه على أنه سياسة ويوجد له الخطط والأدوات .

الفهرس العام
(محتويات الكتاب)

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة